تاريخ العراق
الأرض والشعب والدولة

تاريخ العراق.. الأرض والشعب والدولة / سياسة
سليم مطر / مؤلف من العراق
الطبعة الأولى، 2021
حقوق الطبع محفوظة ©

المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
المصيطبة – شارع ميشال أبي شهلا – متفرع من جسر سليم سلام
مفرق الجامعة اللبنانية الدولية LIU – بناية النجوم – مقابل أبراج بيروت
ص.ب.: 11/5460 الرمز البريدي 1107-2190
تلفاكس: 707892 1 00961 – 707891 1 00961
بـيـروت – لبـنـان
E-mail: mkpublishing@terra.net.lb
موقع الدار الألكترونيّ: www.airpbooks.com

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب.9157، عمّان، 11191 الأردنّ،
هاتف: 5605432 6 00962، هاتفاكس: 4631229 6 00962
E-mail : info@airpbooks.com

فكرة الغلاف والصور: **سليم مطر**
التصميم الداخلي: **سارة البرازي**
التنفيذ الطباعيّ : **ديمو برس** / بيروت، لبنان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

رقم الناشر الدولي: ISBN: 978-614-486-238-4

سياسة
POLITICS

سليم مطر

تاريخ العراق
الأرض والشعب والدولة

جديـــد وشامـــل وموجـــز
من العصر الحجري حتى العصر الحديث

إنَ وظيفةَ (معرفةِ التاريخ) شبيهةٌ بوظيفةِ (معرفةِ النفس):
التقصّ عن خَبايا ومعانى الماضى والتاريخ الشخصى أو الجماعى،
من أجل تفهّمه والاستفادةِ منه لتفهّمِ الحاضر والسيرِ المعقولِ نحوَ المستقبل..
نتمنى أن يساهمَ كتابُنا في بلوغ هذه الغايةِ الوطنيةِ والإنسانية..

* * *

هذا الكتاب قد اعتمد على كتابنا السابق: (العراق.. سبعة آلاف عام من الحياة)، من ناحية الاطار العام وعناوين المراحل، لكنه مختلف بالكثير من التعديلات والاضافات في المعلومات والأفكار والصور والخرائط التوضيحية. والأهم أنه قد اكتسب قيمة أكبر أكاديميا وعلميا لتضمينه مئات المصادر والهوامش التي توزعت على جميع صفحاته تقريبا.

المحتويـات

مقدمة منهجية وتعريفية
كتابة التاريخ والرؤية الجغرافية (البلادية)!

الرؤية الواقعية البلادية 22
(الرؤية البلادية) وتطبيقها على تاريخ العراق؟ 22
تشويهات الرؤية القومية العنصرية للتاريخ! 23
اسم العراق والمشكلة المصطنعة! 28
مراحل تاريخ العراق 30
الإنجازات والميزات الحضارية الكبرى 31

1 هوية العراق، الجغرافية والجينية

الهوية الجغرافية: البيئة والموقع 36
الموقع الاقليمي وثنائية عالمي الجبال والبوادي 37
البيئة الداخلية وثنائية دجلة والفرات 39
العراق من بلدان البحر المتوسط! 39
1ـ بيئة دجلة الجبلية الآسيوية الكردية ـ السامية 40
2ـ بيئة الفرات البوادية السامية ـ العربية 42
الثقافة (النهرينية) المشتركة 43
تطرف النهرين بكرمهما وغدرهما 44
التقسيمات الإدارية 46
أقاليم وادي النهرين (ميزوبوتاميا: **MESOPOTAMIA**) 48
الهوية الجينية للعراقيين 50

2 المرحلة النهرينية: (Mesopotamian)

طبيعة النهرين اساس الانسان والدولة والحضارة 58

ما قبل الحضارة 60
أقاليم النهرين ولغاته وأقوامه 62
1ـ السومريون واللغة السومرية 63
2ـ الناطقون بالأكدية: البابلية، الآشورية 65
السومرية والاكدية ومثال: (لغة القرآن) ولغة الجنوب! 65
مشكلة أصل الساميين 66
3 ـ عيلام، روابطها وثقافتها النهرينية 68
4 ـ المجموعة الجبلية (الكاشية ـ الكردية)، وعلاقتها بالنهرين 70
الميديون، وعلاقتهم بالأكراد؟ 73
هل الميديون أكـراد؟! 75
أربيل، مدينة نهرينية 77
تاريخ دولة النهرين 78
السلالات النهرينية الحاكمة 79
(شريعة حمورابي) أقدم شريعة! 83
سميراميس الملكة الحقيقية والأسطورية! 85
نهاية آخر دولة نهرينية وسيطرة الاحتلالات الأجنبية 86
الملك (نبونيد) هل هو جد القريشيين؟ 88
انتفاضات أهل النهرين ضد الاحتلال الاخميني الفارسي 88
مقاطع من رثاء بابل في المسيحية 89
ما الحضارة؟ وما الحضارة النهرينية؟ 90
ما (الحضارة) وما علاقتها بـ (الثقافة)؟ 93
النهرين، الحضارة التي تركت أكبر كمية من النصوص المكتوبة! 96
إنجازات الحضارة النهرينية 96
الكتابة والترجمة والقواميس 97
الفلك والجغرافيا والتنجيم 98
القوانين 100
الطب 100
الرياضيات والصناعة 101
العمارة والبناء 101

الديانة النهرينية، دنيوية، تقدس الخصب والكواكب! 102
الأدب والاسطورة والفن وتداخلها مع الدين 102
أسطورة گلگامش 104
عشتار وتموز 105
عيد الربيع النهريني (**هگيتو** ـ الحجة) 106
اليهودية ديانة بابلية: حقيقة السبي البابلي؟ 107
سبي اليهود 109
حياة اليهود في بابل 110
تدوين التوراة والتلمود في بابل 111
(عزرا البابلي) منجز الدين اليهودي 113
تمسك اليهود بالبقاء في (بابل) 113
اليهودية عقيدة بابلية: دنيوية اساسا، ثم سماوية! 114
حضارة النهرين (MESOPOTMIA) في الثقافة العالمية 115

3 المرحلة الآرامية ـ المسيحية

سقوط المشرق والمتغيرات الكبرى! 118
تسمية المرحلة الآرامية ـ المسيحية 120
المتغيرات السياسية 122
هذه المرحلة تشبه تماما فترة (الصراع الايراني ـ العثماني) 123
دور الجغرافيا في الاحتلالات الإيرانية 124
الشخصية الإيرانية 125
الشخصية العراقية 126
العراق حضارة، وإيران دولة! 127
سبب هوس إيران باحتلال العراق! 129
الدول الأجنبية التي تعاقبت على احتلال العراق 130
1 ـ الدولة الإخمينية (الإيرانية) (539 ـ 323 ق.م) 131
2 ـ الدولة السلوقية (اليونانية) (320 ـ 141 ق.م) 133
3 ـ الدولة البارثية (أو الفرثية) (الإيرانية) 140ق.م ـ 266م 135
4 ـ الدولة الساسانية (الإيرانية) (224 ـ 637م) 137

مستجدات المجتمع ومعالم النهضة 139
حقبتا السبات والصحوة 140
المعالم السياسية الحضرية 141
1 ـ مدينة المدائن (قيطسفون ـ سلوقيا) 142
2 ـ دولة الحضر (القرن الأول والثاني م) 143
3ـ دولة ميسان 144
4 ـ دولة الحيرة ودور العرب 144
5ـ (الأحواز: عيلام) ودورها المسيحي والعلمي السرياني! 145
المعالم الثقافية والدينية 147
1 ـ التيار الروحاني (العرفانية ـ الغنوصية) 148
2 ـ المسيحية العراقية وتأسيس كنيسة المشرق السريانية في بلاد النهرين: 150
الاضطهاد الفارسي وإعدام المرجع المسيحي الأعلى! 152
3 ـ السريانية لغة وطنية: دينية وثقافية 154
4 ـ الديانة الصابئية (المندائية) 155
5 ـ المانوية البابلية 156
الثقافة العراقية وتأثيرها على ايران 158
الزرادشتية: المجوسية بين الحقيقة والمبالغات 160
شخصيات تاريخية 163
أفرام السرياني (306 م ـ الرها 373 م) 163
شيرين الميسانية ملكة ساسان 163
أحيقار الحكيم 164
الملك النعمان بن المنذر (582 ـ 609 م) و (معركة ذي قار 609م) الشهيرة 164
إسحاق السرياني أو إسحاق النينوي القطري 165
يوسف الأحوازي مؤسس علم النحو الآرامي 580م 165
الأميرة الراهبة هند ابنة النعمان 166
شمال العراق والأكراد في هذه المرحلة 166
حدياب وعاصمتها أربيل 167
كركوك 169
الأسقف نوح الأنباري (القرن 2 م) اسقف حدياب 169
لغز بطارية بغداد 171

4 المرحلة العربية الإسلامية

الاساس التاريخي السابق للفتح العربي الإسلامي! 175
الظروف التاريخية 176
المرحلة الأولى: المسيحية الشرقية وتأسيسها لنهضة الشرق 177
المرحلة الثانية: الفتح العربي الإسلامي وتحقيق الاستقلال السياسي والحضاري 178
الاساس الكنعاني ـ الآرامي الذي هيأ لانتشار العربية 182
سكان العراق قبل وبعد الفتح 183
الإسلام والتعريب في العراق 183
الطوائف في الفترة الاولى من الفتح العربي الاسلامي 184
من هم العرب والاعراب؟ 184
اسما (عرب ARABE) و (أوربا Europe) 188
(الموالي) و (الأعاجم) و (الأنباط) 192
الفترات الثلاث الأساسية لهذه المرحلة 194
1 ـ الفترة الراشدية (632 ـ 661م) 194
فتح العراق وتحريره من الاحتلال! 195
كاد الاسلام ان يكون دينا عربيا خالصا، خاصا بشعوب «شرق البحر المتوسط» 196
معركة القادسية وفتح العراق 196
معركة نهاوند ونهاية الدولة الفارسية 197
الخليفة (علي بن أبي طالب) رائد النهضة التاريخية العراقية 197
2 ـ الفترة الأموية (661 ـ 750 م) 200
ثورات العراقيين وحركاتهم! 200
ثورة الحسين: 61 هـ 201
ثورة التوّابين: 65 هـ 201
انتفاضة المختار الثقفي: 66 هـ 202
ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الكوفي 202
الحركات العقائدية والسياسية المعارضة 202
3 ـ الفترة العباسية (750ـ 1258م) ودور العراق والعراقيين بإنطلاقة الحضارة العربية الاسلامية 203

انتصار التحالف الهاشمي (العباسي ـ العلوي) وقيام الدولة العباسية 204
أكذوبة قيادة الفرس للدولة العباسية 205
(الأردن ـ قرية الحميمة) مقر القيادة السرية العباسية وميلاد الخلفاء الأوائل! 205
1ـ مشكلة الدولة الأموية، لم تكن مع (الفرس)، بل مع (العراقيين)! 206
2ـ حقيقة دور (الخراسانيين) في الحركة العباسية 207
3 ـ أبو مسلم الكوفي الخراساني، قائد كوفي عراقي 207
4 ـ العباسيون أقاموا دولتهم في العراق (بغداد) وليس في ايران! 208
5 ـ حقيقة النفوذ الفارسي على الخلافة؟ 208
البويهيون الشيعة الزيدية، والحروب الشيعية الشيعية! 209
عصور الدولة العباسية 210
العصر العباسي الأول (750ـ 833) 210
فترات النفوذ التركستاني والايراني في الخلافة 211
الاصل البابلي لمدينة بغداد! 211
العصر العباسي الثاني (833 ـ 945) 212
تشييد سامراء للترك 213
العصر العباسي الثالث (945 ـ 1055) 214
العصر العباسي الرابع 1055 ـ 1136 214
العصرالعباسي الخامس (1136 ـ 1258) 215
الحروب الصليبية (1096 ـ 1291) ودور الأتراك 216
أبرز الخلفاء 216
(أبو جعفر المنصور) مشيّد بغداد 216
الخليفة الشهير هارون الرشيد 216
المأمون الخليفة المثقف 217
صلاح الدين الايوبي، التكريتي العراقي 217
فئات المجتمع العراقي في هذه المرحلة 218
العرب 218
النصارى السريان 218

الصابئة 218
اليهود 219
الأكراد 219
التركمان 220
طائفة المانوية 221
أربيل المسيحية السريانية، ثم التركمانية 222
التنوع المذهبي والخلافات الطائفية 222
شيعة العراق (عملاء مصر)؟! وتحول الخلاف، من سياسي الى مذهبي! 223
أكذوبة زواج الحسين بـ(شهربانو) ابنة آخر ملك فارسي (يزدجر)!؟ 225
الحضارة العراقية العباسية، اساس الحضارة العربية الاسلامية 226
التنوعات البلدانية للحضارة العربية الاسلامية 227
بيت الحكمة أول جامعة في التاريخ 228
دور العراقيين في ابداع المذاهب الفقهية 229
في تأسيس التشيع 229
هشام بن الحكم، مؤسس المذهب الجعفري 229
الشريف الرضي مدون كتاب نهج البلاغة 230
الإمام المهدي المنتظر (محمد بن الحسن المهدي) 230
المذاهب السنيّة 231
إمام الرأي أبو حنيفة النعمان (699 ـ 767م) 231
إمام السلفية أحمد بن محمد بن حنبل (780م ـ 855م) 231
إمام الوسطية أبو الحسن الأشعري (874 ـ 936م) 232
تيارات فكرية وعقائدية 232
حركة المعتزلة 232
التصوف 232
إخوان الصفا وخلان الوفا 233
الخوارج والاباضية 234
ألف ليلة وليلة إبداع عراقي ـ مشرقي ـ انساني خالد 235

ملحق تعريفي: (الهوية البلادية) للشخصيات الفاعلة، وكشف أكذوبة (دور الفرس) في الحضارة العربية الإسلامية

الشخصيات الإيرانية (أو الفارسية) 238
الشخصيات التركية المحسوبة ظلماً على الفرس وإيران 240
ـ بلاد تركمانستان 241
مدينة مرو 241
مدينة نسا (وهي حالياً مدينة عشق أباد عاصمة تركمانستان) 241
بلاد أوزبكستان 242
دولة كازخستان: ومن أهم أعلامها 242
شخصيات أفغانستان التي احتسبت ظلماً على الفرس 243
شخصيات الأحواز التي احتسبت ظلماً على الفرس 245
الشخصيات العراقية التي احتسبت ظلماً إلى الفرس 247
الشخصيات العراقية المتفق على عراقيتها 251
هؤلاء الكبار من آباء من (دير عين تمر)! 251
الشخصيات المعروفة 252
المترجمون السريان 255
ابن وحشية النبطي، عالم كبير واول دارس للهيروغلفية المصرية! 256
نساء متميزات 256
ـ سجاح الموصلية، مدَّعية النبوة (القرن السابع م) 256
ـ رابعة العدوية البصرية، اعظم المتصوفات (717م ـ 801م) 257
ـ زبيدة زوجة الرشيد (766 ـ 831م) 257
ـ الخيزران، البربرية، ام الخليفتين (القرن 8) 257

5 مرحلة السبات العراقي (1258 ـ 1917)

لماذا السبات؟ 260
نهاية الدولة العباسية والانتحار المصيري للامبراطوريات! 261
ازدهار الحضارة ونهايتها 262
سقوط (بغداد) على يد المغول 263
طريقة موت الخليفة ونهاية الخلافة، مثال على انتحار الامبراطوريات! 265

الفترة المغولية ـ التركمانية: 1258 ـ 1335 266
من هم المغول والترك؟ 266
علاقة (الترك) مع أهل العراق 267
الفترة المغولية الايلخانية والجلائرية 269
الاتراك وأهل البصرة!؟ 269
المغول والمسيحية النسطورية العراقية! 270
الفترة التركمانية 270
ـ دولة الخروف الأسود (قرة قوينلو) (1375 ـ 1468) 271
ـ دولة الخروف الأبيض (آق قوينلو) (1378 ـ 1508) 272
الفترة العثمانية (1529 ـ 1917) 273
وتحول العراق الى ساحة صراع: ايراني شيعي ـ عثماني سنّي! 273
الدولة الصفوية وتشيع إيران 274
اسباب تشيع ايران 275
الدولة العثمانية 277
العشق الايراني للعراق! 277
فترة المماليك (1749ـ1831) 279
اول محاولة عراقية لرفض السيطرة العثمانية العسكرية المباشرة 279
معاهدة أرضروم والتخلي عن (الاحواز) وضفة شط العرب! 280
المحاولة الفيلية لاستقلال العراق (1524ـ 1530) 281
الامارة المشعشعية في الأحواز وجنوب العراق (1436 ـ 1724م) 282
إمارة بني كعب في الأحواز وجنوب العراق (1690 ـ 1925) 283
إمارة آفراسياب البصرية (1595ـ 1668) 283
إمارة المنتفق 1530 ـ 1918 284
عائلة الجليلي الموصلية 285
داود باشا.. الزعيم الوطني العراقي المنسي (1817 ـ 1831) 286
التوافق البريطاني ـ الايراني ـ التركي على محاربة الاستقلالية العراقي! 287
الاتفاقيات العثمانية ـ الفارسية، لترسيم الحدود وتشتمل على حدود العراق 289
الوالي المصلح مدحت باشا (1869 ـ 1872) 290
إعلان الدستور العثماني، وانطلاق حركة التغريب الاوربية! 291

نهاية الحكم العثماني 292
المتغيرات السكانية والدينية 293
التوسع الكردي المسلم وتراجع الوجود السرياني المسيحي! 294
أحوال المسيحيين الناطقين بالسريانية 295
معركة جالديران: 1514، والنقلة الكبرى لبروز الأكراد 296
دور القوى الأوربية بإضعاف الوجود المسيحي! 298
(هنري لايارد)[39] يشهد ارتزاق اغوات الاكراد لصالح المبشرين الاوربيين! 300
التوسع الكردي 300
أهم الإمارات الكردية العراقية 301
إمارة بهدينان (1376 ـ 1843) 302
إمارة سوران في راوندوز 1816 ـ 1838 302
إمارة بابان (1649 ـ 1851) 302
تعمق المشكلة الطائفية ودور الصراع العثماني ـ الإيراني ـ الوهابي 303
أمراء الاكراد أحفاد العباسيين! 303
الحروب الايرانية ـ العثمانية بين 1500 و1900 304
بروز الحركة الوهابية وغزواتها 304
الوهابية والبروتستانية! 305
المتغيرات الثقافية 306
اكتشاف الحضارة النهرينية 306
هرمز رسام (1826 ـ 1910)، ذلك العالم العراقي المَنسي! 308
ظهور اللغة الثقافية والكتابة بالكردية 308
النهضة الحداثية في القرن التاسع عشر 310
النهضة الصحفية 314
شخصيات عراقية مبدعة 314
(المطهر الحلي) و(ابن تيمية) وتعمق الخلاف المذهبي 315
وضع المرأة 319
شخصيات نسوية متميزة 320
ـ (معاني جويريدة) المرأة البغدادية التي دفنت في روما 320
رسالة (شهربان) الى زوجها (مدحت باشا) 322

6 المرحلة الحديثة وإحياء الهوية العراقية

الولادة الحديثة للعراق: الثروة والنقمة! 326
الحرب العالمية الأولى ومعنى التقدم والتحضر؟! 327
الولادة العسيرة للعراق 329
هل حقا ان العراق قد اصطنعه الانكليز؟ 331
المتغيرات والثورات في العراق الحديث 332
الثورة الأولى: 1914 ـ 1921 التي تمخضت عن المرحلة الحديثة (1921 ـ 2003) 333
الثورة الثانية عام 2003 التي تمخضت عن (الفترة ما بعد الحديثة) 334
المرحلة الملكية ـ الجمهورية 335
انتفاضة الشيخ محمود الحفيد البرزنجي 336
انتفاضة العشرين (وقد شاع اسمها مجازاً: ثورة العشرين) 336
قيام الدولة الملكية العراقية: (1921 ـ 1958) واختيار (فيصل الهاشمي الحجازي) ملكا 337
التيارات الحزبية ـ الثقافية التي قادت هذه الفترة الملكية 338
أهم أحداث هذه الفترة 339
عام 1925 الأحواز العربية ـ العراقية تُحتل من قبل إيران 340
انفجار الحرب العالمية الثانية في ايلول 1939 341
قيام الجمهورية: 1958 ـ 2003 343
التيارات الحزبية ـ الثقافية والفترة الجمهورية 343
التيار (القومي: العروبي والكردي) 344
التيار الماركسي الشيوعي 345
التحالف الانتهازي والصراع الدامي، بين التيارين 345
انقلاب تموز عام 1958 العسكري وقيام الجمهورية 346
عام 1963 انقلاب 8 شباط 348
عام 1968 في 17 تموز انقلاب البعثيين 349
مجيء صدام وانحدار العراق نحو أعماق جهنم 351
نهاية الحرب في 8 آب 1988 352
حرب الخليج الثانية والنظام العالمي الجديد! 353
حرب ام الكمارك الكردية ـ الكردية 355

المشكلة الكردية 355
مشروع (امبراطورية كردستان الكبرى) 356
وحقيقة (معاهدة سيفر: Treaty of Sèvres)! 356
الفترة ما بعد الحديثة: 2003، ونظرية الفوضى الخلاقة! 360
الثورة العراقية الثانية! 361
المجتمع العراقي وتنوعه القومي 367
مشكلة مفهوم: (القومية) 368
ما هي: (القومية) وما هي: (الامة)؟ 369
قوميات الأمة العراقية 371
القوميات والفئات الأقل عدداً 373
الثورة الثقافية! 375
رواد النهضة الحديثة 376
ـ العلامة اللغوي أنستاس ماري الكرملي (1866 ـ 1947) 376
ـ رائد الصحافة روفائيل بطي (1901 ـ 1956) 377
ـ الأديب والباحث محمد مهدي البصير (1895 ـ 1974) 377
ـ العلامة الآثاري والمؤرخ طه باقر (1912 ـ 28 فبراير 1984) 377
الشعراء الرواد 382
رائدات النهضة الحديثة 384
رائدات الصحافة النسوية 387

الخاتمة: مشاكل العراق، وإحياء الهوية الوطنية!

دور النخب 390
مشاكل العراق الحديث 391
(النخبة) الاعلامية أخطر من الجيوش والشرطة! 391
أولاً ـ خطورة موقع العراق شرق الاوسطي، وأهمية التحالف العربي 392
ثانياً، ثراء وبلاء البيئة العراقية 393
الايرانيون واتفاقهم الغريب على حقهم باحتلال العراق!؟ 393
كوارث البيئة العراقية 395
ثالثا، تنوع الشعب العراقي، قومياً ودينياً وعقائدياً 397

هل صحيح إن الاكراد هم القومية الوحيدة المحرومة من الدولة!؟ 398
توزيع مناصب الوزراء في العهد الملكي (1921 ـ 1958) 400
رابعاً، الانقسام الديني ـ الحداثي 400
إحياء الهوية الوطنية الجامعة 402
مرض التبعية للخارج: مشكلة النخب العراقية الاولى والكبرى في العصر الحديث! 403
إضافة اسم (بلاد النهرين: ميزوبوتاميا: Mesopotamia) إلى تسمية (العراق) 405
كركوك قلب العراق 407
تحويل جامعة الدول العربية الى منظمة اقتصادية وثقافية، وإلغاء دورها السياسي! 409
(الاعتراف والتصالح مع إسرائيل) مشكلة عراقية مصطنعة! 409

مقدمة منهجية وتعريفية

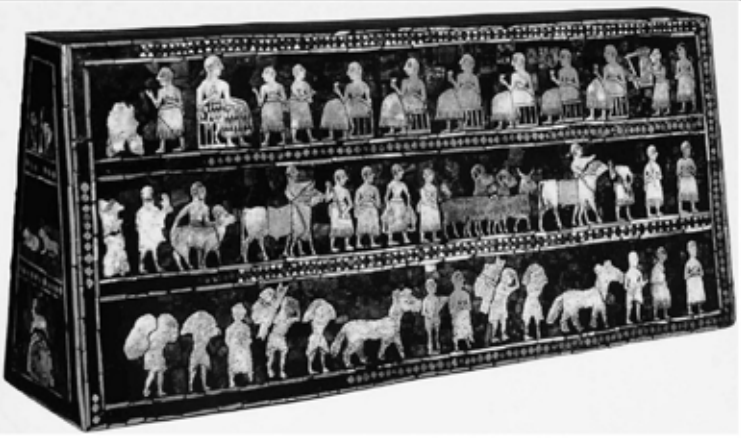

الحضارة النهرينية:(السومرية الاكدية: بابل وآشور وعيلام) هي اول حضارة في تاريخ العراق. وقد شكلت مع الحضارتين المصرية والشامية الكنعانية:(الحضارة الشرقية المشتركة) التي هي اولى حضارات البشرية

المدرسة المستنصرية من رموز الحضـــارة العربيـــة الاسلاميـــة: الحقبة العباسية العراقية، وهي الحقبة الحضارية الكبرى الثانية التي صنعهـا اهل النهريـــن: العراق

كتابة التاريخ والرؤية الجغرافية (البلادية)![1]

من المعلوم إن هنالك عدة مناهج أو نظريات لكتابة التاريخ، مرتبطة بتعدد الرؤى الفلسفية والدينية عن البشر وحياتهم، ومن أهمها:

1 ـ الرؤية الدينية والاسطورية، التي تعتبر (القوى السماوية والخفية) هي المحرك والمسؤول عن الوجود والنشاط البشري، بل عن الكون بأكمله. وهذه اولى وأقدم الرؤى المعروفة. وهنالك بعض الرؤى قد تكون مشابهة للسابقة بحدود معينة، حتى وان نطقت بالعلمية، مثل: (تأثير الكواكب وعلم التنجيم). وهو اعتقاد لا زال سائدا حتى الآن في العالم، وكثيرا ما يستخدمه منجمو اوربا في شرح اسباب الاحداث الكبرى.[2] كذلك يمكن اضافة: رؤية عالم النفس (يونغ:Carl Jung) عن: (التزامنية: Synchronicity) اي وجود علاقة بين (نفسية الانسان) وبعض الاحداث الطبيعية التي تظهر له!

2 ـ الرؤية الفضائية، التي ظهرت في العصر الحديث[3]، وتعتقد بدور مبعوثين من حضارة في كوكب قام بخلق أو تطوير خلقة البشر وعلّموا السومريين أسس

---

(1) ـ توضيح هام للقارئ الكريم: جهدنا أن ندعم معلومات وأفكار هذا الكتاب بالكم الكبير من البحوث والدراسات، العربية والاجنبية، والمدونة في الحواشي وفي نهاية كل فصل.
ولكن لتسهيل الامر على القارئ الراغب بالمزيد من التفاصيل عن المعلومات الواردة في كتابنا هذا، فإننا نقترح عليه البدء أولاً في البحث في (عالم الانترنت). إذ يتوجب الاخذ بنظر الاعتبار بأن العالم منذ سنوات يعيش في فضاء معرفي جديد وثوري هو (الانترنت). فالمعلومة التي كانت في السابق قد تأخذ أياماً من التفتيش في العشرات من المصادر والاتصالات والانتظارات، قد لا تستغرق الآن دقيقة واحدة. لهذا فإنها خاطئة تلك الفكرة التبسيطية السائدة خصوصاً في الجامعات، التي تستهين بمعلومات الانترنت، فهو بالحقيقة مثل أية مكتبة عملاقة، فيه المصادر الجادة الدقيقة وفيه أيضاً المصادر السطحية والمزيفة والمسروقة. وهنا تكمن قدرة الباحث وصبره في البحث والمقارنة والتدقيق للتمييز بين الجاد والسطحي. ثم الآن هنالك الكثير من الكتب التراثية والحديثة منشورة نصاً في الانترنت ويمكن مطالعتها بسهولة.

(2) ـ علم التنجيم قد تأسس في بابل ثم في مصر والصين والهند واليونان. ولازال بعض الناس في أوروبا ينسبون بعض أشكال الجنون إلى القمر، ومنه جاءت كلمة(lunatic) المشتقة من(Luna) التي تشير إلى «المجذوب» أو المجنون المتقلب المزاج.
ـ عن اعتقاد الاوربيين بالتنجيم: مثلا الربط بين اندلاع الثورة الفرنسية وتاثير بعض الكوكب. طالع كتاب: الثورة الفرنسية وتفسيرها بعلم التنجيم:
ـ La Revolution Francaise Expliquee Par L'astrologie – Aime Jacqueline

(3) ـ عن دور أهل الفضاء، هناك الباحث الامريكي من أصل روسي: (زكريا ستشن: Zecharia Sitchin) أول من تحدث عن هذا، وأصدر العديد من الكتب التاريخية العالمية التي يكشف فيها عن الشواهد التي توضح علاقة السومريين بأهل الفضاء. لمزيد من المعلومات ابحث عن اسمه وكتبه.

الحضارة. وهم الذين أطلق عليهم السومريون اسم (انوناكي: الهابطون من السماء). بل ان الجماعات المغالية من أصحاب هذه الرؤية يعتقدون بأن أهل الفضاء: (العصبة البابلية) لازالوا يتحكمون سراً بمجريات العالم وحركة التاريخ[4].

3 ـ الرؤية الواقعية والجغرافية، التي ظهرت بالتدريج مع المؤرخين الاغريق، ثم تطورت مع العرب وبالذات المؤرخ (ابن خلدون). ويمكن القول بأنها هي عكس السابقتين، اي بدلاً من دور السماء والفضاء، تعتقد بدور الارض: الجغرافيا والبيئة والثقافة والمصالح والقادة، وغيرها. ويمكن أن نضع ضمن هذا السياق (فكرة المؤامرة السرية) أي دور القوى الدولية في التأثير الخفي عن طريق العملاء والمرتشين، على أوضاع العالم.

4 ـ الرؤية الطبقية، التي ابتدعتها (الماركسية)، باعتبار صراع المصالح الاقتصادية (الطبقات) هو محرك «خفي»! للمجتمعات وللتاريخ. وتحدثت عن (حتمية تاريخية) لخمس مراحل تمر بها جميع المجتمعات.

وطبعاً هنالك رؤى وأساليب ومناهج عديدة، كما في جميع مجالات المعرفة.

العالم(زكريا ستشن) من مبتكري (نظرية الاصل الفضائي للحضارة النهرينية)، وقد الف 12 كتاباً بهذا الخصوص

(4) ـ من أشهر من تحدث عن (العصبة البابلية التي تقود العالم سراً) هو الباحث البريطاني (ديفيد آيك: David Icke)

ـ هنالك أيضاً (الحركة الراحيلية: Raëlism) هي طائفة مرتبطة بكائنات فضائية افتراضية. أسسها الصحفي الفرنسي (كلود فوريلون) في باريس، فرنسا عام 1974 ويدّعي إنه سفير الكوكب الذي صنع البشر والمسؤول عن مصيره. وهي أكبر وأشهر طائفة كائنات فضائية في العالم.

الرؤية الواقعية البلادية

إننا عموماً لا نميل الى الرفض الكامل لجميع هذه النظريات، لأننا فلسفياً نؤمن بأن الوجود الانساني والكوني لا زال مجهولاً، وأن جميع المعارف والمكتشفات حتى الآن لم تمس سوى جزء بسيط من الاسرار والالغاز. وهذا الغموض والجهل الكبير بأسرار الوجود، يترك أمامنا حيزاً كبيراً لمختلف الاحتمالات والنظريات والمكتشفات الجديدة والعجيبة. شئنا أم أبينا، باب الاحتمالات العقلانية واللاعقلانية، يبقى مفتوحاً.

لكننا مع ذلك، عملياً نعتمد في رؤيتنا للتاريخ على (المنهج الواقعي الجغرافي) لأنه الأكثر وضوحاً وإقناعاً حتى الآن، مع احتفاظنا الشخصي، بنسبة من الشك بإمكانية وجود تأثيرات ما من قوى السماء والطبقات وسكان الفضاء، وغيرها من العوامل المجهولة.

(الرؤية البلادية) وتطبيقها على تاريخ العراق؟

يمكن تعريف (المنهج البلادي)[5]: يسعى الى تصحيح التشويه الاكبر الذي لعب أخطر دور في تدمير (الهويات الوطنية للامم العربية) وعلاقتها بتواريخها. تلك الرؤية العنصرية العرقية المناقضة تماماً للعلم وللتاريخ، القائلة:

«إن تغير لغة وديانة الشعب في مرحلة ما، يعني بكل يقين تغيره البشري الأقوامي، وإحلال شعب جديد محله، يحمل هذه الديانة واللغة الجديدة»

(5) ـ نحن فضَّلنا استخدام تعبير (المنهج البلادي) بدلاً من (المنهج الوطني). هنالك خطأ سائد في استخدام كلمة (وطني) إذ يتم الخلط بين المعنى الجغرافي، مثل: (انتاج وطني) و(مؤسسة وطنية). مع المعنى السياسي العقائدي، مثل (فكر وطني)، و(حزب وطني). فلا نميز في قولنا: (حكومة وطنية)، هل لأنها (تمثل جغرافياً الوطن كله)، أم لأنها (ذات ميول سياسية وطنية)؟! (مثل الفرق بين مسلم واسلامي). (سنفصل هذه الاشكالية اللغوية في الفصل الاخير).
في اللغات الاوربية يتم التمييز بين المعنيين بإضافة لاحقة (ist/National). لهذا ارتأينا التمييز بين المعنيين، باستخدام كلمتين مختلفتين، باستلهام الاستخدام الذي كان سائداً في تراثنا العربي: (بلداني) بالمعنى الجغرافي، أي التبعية لبلد وأرض وبيئة. لكننا للتسهيل نقترح (بلاد: بلادي): (مؤسسة بلادية، الفريق البلادي). أما (وطني) فتبقى فقط للمعنى العقائدي السياسي (حزب وطني، فكرة وطنية).

تشويهات الرؤية القومية العنصرية للتاريخ!

إن أشنع تجليات هذه الرؤية السائدة نخبوياً وشعبياً بين العرب وباغضي العرب تتمثل بالخطاب المعروف التالي: (أنتم عرب بدو غزاة من الجزيرة العربية وليس لكم أية علاقة بتاريخ وحضارات الشعوب السالفة). إن أفظع تطبيقاتها هي (الصهيونية) التي بررت طرد الفلسطينيين من بلادهم ليعودوا الى (جزيرتهم العربية)، ويأتي محلهم اليهود الى (أرضهم الموعودة) حسب (التوراة) المكتوبة قبل 2600 عام! وأنكى من هذا ان (الفكرة القومية العروبية) دون قصد (ومن المحتمل بقصد!)، دعمت وبرَّرت هذا المنطق الصهيوني العنصري، بتأكيدها على (نقائنا العروبي) وأصلنا من الجزيرة العربية وأجدادنا قحطان وعدنان ويعرب!

هذا لا يعني أبداً، رفض (العرب والانتماء العربي)، بل رفض (الفهم القومي القبائلي) الذي خلق (القطع العنصري المفتعل) بين (الشعوب الناطقة بالعربية حاليا) (والشعوب الاصلية السابقة للفتح)، بينما هي نفس الشعوب وبنفس الامتداد التاريخي والثقافي المتواصل، رغم تغير الاسماء واللغات والاديان.

لهذا فإن (الرؤية البلادية) التي طبَّقناها في كتابنا هذا عن (تاريخ العراق)، جهدت خلال جميع الصفحات للتعبير عن الفكرة الجوهرية التالية:

إن (شعب العراق سليل سكان النهرين) مثل جميع شعوب الارض، قد تغيرت لغاته وأديانه وأسماؤه، لكنه باق هو نفسه، بدناً وروحاً في الارض والانهار والشمس والكواكب والنبات والاحياء والمناخ والغيوم والرياح، بل خصوصاً في الثقافة والعقيدة واللغة الفصحى واللهجات والتقاليد والتراث وميزات الشخصية العراقية. إن الانسان نبتة مرتبطة بالبيئة الخاصة بها، ومهما توالت الازمان وتغيرت الاسماء والتقنيات فإنها تبقى تتوارث جوهرها وهويتها الخاصة بها.

إن انتقال العراقيين من اللغات والاديان: (السومرية ـ الأكدية: البابلية ـ الآشورية)، إلى (الآرامية ـ السريانية والمسيحية)، وأخيراً مع الفتح العربي الاسلامي، حلّت (العربية والاسلام)، كل هذا لا يعني أبداً أن العراقيين السابقين قد ابيدوا وحل محلهم (العرب المسلمون)، بل كل ما في الأمر أنهم اعتنقوا الإسلام وتبنَّوا العربية وامتزجوا مع الأقلية المسيطرة من الفاتحين العرب المسلمين وحملوا ألقابهم وأسماءهم[6].

(6) ـ حسب الإحصائيات التي تمت بالاعتماد على ضرائب الإدارة الساسانية الحاكمة للعراق قبل الفتح، فإن عدد العراقيين يبلغ 9 مليون كلهم ناطقون بالسريانية الآرامية ومسيحيون نساطرة، بمن فيهم القبائل العربية، عدا 100 ألف يهودي. (سنفصل هذه النقطة *في الفصول القادمة*). المصدر: كتاب ((المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي ـ فارج وكرباج، ص44 ـ 45)).

وهذا أمر حصل في تاريخ جميع شعوب الأرض، فهنالك حالات نادرة جداً أدَّت إلى انقراض الشعب من قبل الفاتحين الجدد، مثل حالة انقراض غالبية الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، بتأثير الأسلحة النارية والأمراض الجديدة الفتّاكة التي نقلها إليهم المستعمر الأوربي.

إذن (الرؤية البلادية) هي ببساطة:

رفض الاعتماد على (الاصل العرقي القومي اللغوي والديني) أي (الاصل العنصري ـ الجيني) لتفسير نشاطات الجماعات والافراد: هم فعلوا هكذا وهكذا، لأنهم آريون أو عرب، أو أفارقة.. الخ[7]

إنها رؤية مستمدة من (منهج الجغرافيا التاريخية: Historical Geography)، وتعتمد أساساً على (تأثير البيئة والجغرافيا، أي البلاد، في ثقافة وسلوك الشعوب والشخصيات، ورسم دورها في التاريخ..) فإن الشخصية أو الجماعة مهما يكن أصلها العرقي الجيني، لا يحدد عقليتها سلوكها هذا الاصل، بل المكان والزمان اللذان تولد وتنشأ وتنشط فيهما[8]. فالناس المهاجرون، قد يحافظون على الكثير من شخصياتهم الاصلية، لكن أبناءهم الذين عاشوا وتربوا في البلد الجديد سوف يفقدون الكثير

(7) ـ هذا الفهم العنصري قديم في ميراثات جميع الشعوب، لكنه أخذ طابعه (الشرعي والعلمي) في اوربا منذ القرن الثامن عشر، حيث تم التبرير الديني والحداثي لاستعباد الافارقة وإبادة الهنود الحمر، باعتبارهم أجناساً منحطة عن البشر. وقد ظهر علماء ومفكرون دافعوا وفلسفوا هذه العنصرية، أمثال الفرنسي: (Le comte de Buffon/1770)، وهو أول من استخدم كلمة (Ras) بمعنى (جنس) وأصلها من كلمة (رأس) العربية، أي التمييز حسب شكل الرأس، وذلك في كتابه التأسيسي (اختلافات النوع البشري: Variétés dans l'espèce hu-maine). في نفس الفترة ظهر الالماني (Johann Friedrich Blumenbach) الذي قام لأول مرة بتقسيم البشرية الى خمسة أجناس. ثم بلغت الثقافة العنصرية أوجها في القرن التاسع عشر مع ظهور فكرة (الرقي الطبيعي للعنصر الآري) وأنهم وحدهم صنّاع الحضارة. وقد طرحها الفرنسي (Arthur de Gobineau) وغيره في فرنسا والمانيا خصوصاً. وبلغت شدتها العنصرية مع الحركة النازية، و(اثنلوجيا Ethnology) قياس الرأس، وتبرير معاداة الناطقين باللغات السامية وخصوصاً اليهود. وقام الفرنسي (أرنست رينان 1892 – 1823 :Ernest Renan) بفلسفة ترتيب البشرية الى أجناس حاكمة ومحكومة، وشدّد على انحطاط الجنس السامي، كذلك معاداته للعرب والاسلام.

(8) ـ هنالك ما لايحصى من الامثلة الحالية والقديمة لجميع بلدان الارض، التي تكشف لنا دور (البيئة البلادية) وغَلَبَتها على الاصل العرقي: شعوب البلدان العربية، مهما اعتقدت بأصلها العرقي القومي المشترك، فإن اختلاف البيئات الجغرافية لبلدانها خلق شعوباً عربية مختلفة ومتميزة عن بعضها البعض. كذلك: اكراد العراق يختلفون بالكثير عن اكراد ايران وتركيا، رغم تقارب لغاتهم. كذلك تركمان العراق يختلفون الى حد بعيد عن تركمان تركيا أو تركمانستان رغم تشابههم بلغاتهم.

من صفات أهاليهم، ويكتسبون صفات الشعب الجديد. وكلما توالت الاجيال كلما أصبحوا مشابهين لمحيطهم، شكلاً وشخصية.

بالاعتماد على هذه (الرؤية البلادية)، فإن سردنا لتاريخ العراق يتميز بالخصوصيات التالية:

1 ـ تصحيح (التحقيب التوراتي) الذي اعتبر (السلالات النهرينية المختلفة Mesopotamian)[9] بأنها (شعوبٌ مختلفة): السومريون والأكديون والآموريون والآشوريون والكلدانيون.. بينما هي في الحقيقة (سلالات: عشائر) حاكمة تبَّنت نفس الثقافة السائدة (اللغة والدين): (اللغة السومرية ـ الأكدية[10]، مع عقيدة عبادة الخصب والنجوم). ويمكن تشبيهها بحال: (الأمويين والعباسيين والفاطميين.. إلخ) الذين ما كانوا شعوباً، بل سلالات حاكمة اشتركت بنفس الثقافة السائدة: العربية والإسلام..

(9) ـ بالنسبة لتسمية (نهرين ونهريني) ومن باب التبسيط واستخدامه كـ (اسم علم ثابت) دون ضرورة لاعرابه، نقترح استخدامه دائماً بصيغة (المثنى المنصوب) فلا نقول: نهران ونهراني، بل دائماً: نهرين ونهريني.

(10) ـ نحن مع البحوث التي تقول بالأصول المشتركة بين اللغتين الأكدية والسومرية. ونميل الى طروحات الباحث (نائل حنون) بأن (السومرية) لغة دينية اصطنعها رجال الدين الاكديون، وليس هنالك أي وجود لـ (شعب سومري)، وأن المؤرخ (صموئيل كريمر) قد أضاف اسمهم منه عند ترجمة النصوص السومرية. طالع كتاب:
ـ حقيقة السومريين: نائل حنون: دار الزمان: دمشق
مما يدعم مثل هذا أن (اللغة السومرية) بقيت لغة دينية مقدسة بجانب (اللغة الأكدية) الثقافية والرسمية، طيلة ثلاثة آلاف عام في جميع أنحاء العراق (نينوى وبابل) ومن قبل جميع السلالات التي حكمت، حتى نهاية بابل في القرن السادس، وبدء حلول اللغة الآرامية.
في كل الأحوال الجدال لا زال مستمراً عن العلاقة بين السومريين والأكديين، وخصوصاً أن البحوث الجينية الأخيرة قد أثبتت أن السومريين في جنوب العراق والعيلاميين في الأحواز، هم من نفس الأصل المشترك ومن الجينة السامية (J1).
عن العلاقة بين اللغتين السومرية والسامية، طالع:
ـ ما قبل اللغة.. الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية: عبد المنعم المحجوب.
ـ معجم الحضارات السامية ـ هنري س. عبودي.
ـ الكتابة المسمارية وإبلا ـ د. عدنان البني.
عن الأصل الجيني السامي للسومريين، طالع البحث الجيني العالمي، والمنشور في الإنترنت بعدة لغات، بعنوان:
ـ بحث عن الآثار الجينية للسومريين: دراسة مسحية لمستوى التباين في الكروموسوم واي Y والحمض النووي الميتوكندري

mtDNA

ـ Share Download full – text PDF

In search of the genetic footprints of Sumerians: A survey of Y – chromosome and mtDNA variation in the Marsh Arabs of Iraq

2 ـ تصحيح (التحقيب السياسي) الذي قَسَّمَ تاريخ العراق القديم الى (مراحل وشعوب وحضارات مختلفة)، حسب (أسماء الدول الحاكمة): سومرية، أكدية، آشورية، بابلية، كلدانية.. يونانية.. فارسية ساسانية.. أموية.. عباسية.. إلخ.. أما تحقيبنا فهو: (التحقيب الثقافي الاجتماعي) الذي يعتمد على: (نوعية الثقافة السائدة في المجتمع نفسه: اللغة والدين)، فاعتبرنا تاريخ العراق النهريني، القديم، (مرحلة ثقافية اجتماعية واحدة) رغم اختلاف الدول والسلالات الحاكمة، لأن المجتمع ظل طيلة ثلاثة آلاف عام، يتكلم بنفس اللغة (السومرية / الاكدية: بلهجتين آشورية شمالية، وبابلية جنوبية) مع نفس العقيدة الدينية: (عبادة النجوم ورموز الخصب)، وأطلقنا عليها: (المرحلة النهرينية: Mesopotamian: السومرية الأكدية)، ثم تعقبها: المرحلة الآرامية المسيحية / العربية الاسلامية... إلخ...

3 ـ تصحيح (التشويه القومي والديني) الذي يصر على تعريب العراقيين القدماء واعتبارهم مهاجرين من الجزيرة العربية. فنحن مع الفرضية التاريخية التي تقول: إن العراق هو الموطن الأصلي للناطقين بالسومرية والاكدية (الذين امتزجت فيهم مختلف الجماعات القادمة من البلدان المحيطة). كذلك إن العراق (مع منطقة الشام) موطن الشعوب الناطقة بالسامية وليست الجزيرة العربية[11].

واعتبرنا خصوصاً أن الشعوب الحالية الناطقة بالعربية، ومنهم الشعب العراقي، هم ديمومة طبيعية (قومياً وبدنياً) للشعوب السابقة للاسلام والتعريب. على هذا الاساس فإن (تاريخ العرب) يجب أن لا يعني فقط (عرب الجزيرة العربية) بل هو تاريخ (جميع البلدان الناطقة بالعربية) منذ فجر التاريخ.

4 ـ تصحيح التشويه (القومي ـ السرياني المسيحي) السائد بين بعض (التنظيمات القومية الآشورية) الذين يعتبرون أنفسهم هم وحدهم سكان العراق الأصليين، وأن العرب المسلمين (غزاة أجانب)! قدموا مع الفتح العربي الإسلامي. وضحنا أن المسلمين هم أيضاً سكان العراق الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام واستعربوا بعد الفتح.

5 ـ تصحيح التشويه (العروبي) الذي يتجاهل أدوار الجماعات العراقية غير العربية

(11) ـ راجع كتابنا (موسوعة اللغات العراقية) ملف اللغة العربية.

(أكراد وتركمان وسريان، وغيرهم) في صنع التاريخ العراقي. إذ جهدنا قدر المستطاع من أجل ذكر أدوار وتواريخ هذه الجماعات ومساهماتها في صنع التاريخ العراقي الوطني المشترك.

6 ـ تصحيح التشويه (القومي الكردوي) الذي يصر على (تكريد) تاريخ شمال العراق، وفرض تفسير ساذج عن كردية[12] (ميزوبوتاميا والسومريين والآشوريين، وكلكامش، والنبي إبراهيم.. ووو إلخ). ووضحنا أن سكان المناطق الكردية الحالية وأسلاف أكراد العراق أنفسهم قد ساهموا في صنع التاريخ العراقي، وعرفنا منهم الجماعات المنحدرة من الجبال المطلة على العراق، مثل: الغوتيين والكيشيين[13]... الذين سرعان ما اندمجوا بباقي العراقيين.. وأن (موجة القبائل ألآرية) التي سيطرت على أكراد العراق، هي التي حولت لغتهم الى (آرية). وأن دماء غالبية العراقيين بمن فيهم العرب وقبلهم الآراميون والأكديون والسومريون تحمل الكثير من الدماء الكردية. وقد أثبتت البحوث الجينية اشتراك غالبية العرب والاكراد بالجينة السامية والشرق الاوسطية (j1) و (j2).[14]

7 ـ تصحيح التشويه (الطائفي السني ـ القومي) الذي باسم (النقاء القومي العروبي وفضح الشعوبية والتفريس) يصر على عزل و(تفريس) الجزء الأعظم من التاريخ العباسي العراقي. ووضحنا كيف أن الغالبية الساحقة من المبدعين والإبداعات التي احتسبت على (الفرس) كانت عراقية صميمة[15].

---

(12) ـ تسمية (كرد) أشاعها السومريون والآشوريون (كاردو/ كاردا) لسكان أعالي دجلة المجاورين لنينوى، طالع:

ـ Reynolds, G. S. (October–December 2004). «A Reflection on Two Qurʾānic Words (Iblīs and Jūdī), with Attention to the Theories of A. Mingana». Journal of the American Oriental Society. 124 (4): 683, 684, 687

(13) ـ (الغوتيون) سيطروا على بلاد النهرين بعد عام 2215 ق. م، لحوالي القرن. وتبنّوا نفس الحضارة واللغة والدين وبعد أن فقدوا السلطة بمجيء السلالة السومرية، اندمجو مع السكان. أما (الكاشيون) القادمون أيضاً من الجبال المجاورة، فقد كونوا سلاله بابلية دامت حوالي خمسة قرون (1157 - 1680 ق م).

(14) ـ عن جينات العراقيين، طالع دراستنا المفصلة المنشورة:
مكتشفات جينات الشعوب، ونهاية أوهام النقاء القومي العرقي/ سليم مطر
كذلك كتابنا (موسوعة اللغات العراقية) ملف اللغات الكردية.

(15) ـ راجع كتابنا (الذات الجريحة) الفصل الثاني.

8 ـ تصحيح التشويه (الطائفي الشيعي) الذي باسم (مظالم أهل البيت) يصّر على اختصار التاريخ الحضاري العباسي العراقي (وكذلك الأموي) إلى مجموعة مذابح ومظالم ضد الأئمة الكرام. ووضحنا أن الشيعة أنفسهم لعبوا أدواراً حاسمة في الإبداع الحضاري العراقي والإسلامي خلال القرون الستة من الحضارة العربية ـ الإسلامية.

نعم إننا جهدنا من أجل تقديم تاريخ العراق برؤية (بلادية وطنية إنسانية) تحترم الأرض والبيئة وتعترف بدور الإنسان العراقي مهما كانت ديانته ولغته وأصوله.

اسم العراق والمشكلة المصطنعة!

دائماً وبشكل مكرر نسمع من يعترض على وصف (حضارة النهرين) بـ (الحضارة العراقية)، بحجة أن اسم (العراق) شاع في الحقبة العربية الإسلامية!

جوابنا هو التالي: جميع بلدان الأرض قد تغيرت أسماؤها، مثل لغاتها وأديانها؛ فمثلاً عندما نتكلم عن (تاريخ وحضارة الصين)، فإن الصين عبر التاريخ، لم يكن هذا اسمها، بل شاعت عنها عدة أسماء. حتى الآن الصينيون يطلقون على أنفسهم هذا الاسم (**Zhōnghuá** ـ المركز الوسطي)، كذلك (اليونان) فإنها تسمي نفسها (أغريقيا: **Greece**) مع اسمها الرسمي (الجمهورية الهيلينية: **Hellenic Republic**). كذلك (ألمانيا) تعرف

بـ (بلاد دويشه **Deutschland**)، بينما في إسكندنافيا يسمونها **Tyskland**، وفي فرنسا ألماني **Allemagne**، وفي بولندا نيمسكي **Niemcy**، في لخنشتاين **Vokietija**، وفي العربية تسمى ألمانيا، وفي إنكلترا (جيرماني **Germany**).

كذلك (مصر)، حملت أسماء عديدة، منها (حت ـ كا ـ بتاح) الذي حوله اليونان إلى (إيجبتوس) وحالياً يطلق عليها الأوربيون رسمياً تسمية: (**Egypt**)، ومنه اسم (القبط). وإن اسم (مصر) أطلقه الساميون ومعهم العرب بمعنى (الموطن).

أما اسم (العراق) فقد شاع في نفس الفترة التي شاع فيها اسم (مصر). ويعتقد أنه تحوير لاسم أقدم مدينة سومرية (أوروك ـ أرض قاع) أي (الموطن). (لاحظ تشابه المعنى مع مصر)!!

نفس الحال جميع بلدان الأرض، على مر التاريخ، قد تغيرت أسماؤها ولغاتها وأديانها. ومن باب السهولة مال المؤرخون عموماً إلى إطلاق اسم الوطن الحالي على التواريخ والحضارات السالفة.

لماذا (وحده العراق)، يجب أن نرفض اسمه؟!

الأكثر قسوة وغرابة، إنه حتى (الحضارة العربية الإسلامية) وبالذات (العباسية) التي كان مركزها (العراق) وعاصمتها (بغداد) وحواضرها (الكوفة والبصرة وسامراء والموصل)، ورغم أن اسم (العراق) كان شائعاً بصورة شعبية ورسمية، فإن المؤرخين المعاصرين وخصوصاً العراقيين منهم، ولسبب مجهول، قد قرروا أن لا يطلقوا لقب (عراقي) على (الشخصيات العراقية) المولد والنشأة والنشاط والوفاة، بل يطلقوا عليهم ألقابهم الدينية أو القبائلية أو المحلية: (خزاعي)، (عربي)، (مسلم)، (مولى)، (صابئي)، (مسيحي)، (يهودي)... إلخ!؟ وفي احسن الاحوال يقولون: (عباسي)! فلا تعرف أبداً إنه عراقي الموطن والنشأة والوفاة..

بينما ترى المؤرخين (ومعهم الاعلاميون طبعاً) بكل سهولة وخفة مذهلة يطلقون صفة (فارسي) على أية شخصية (مشكوك بعروبتها) أو قادمة من: ايران وافغانستان وتركستان، مهما كان أصلها ولغتها الام!

تراهم بكل سهولة يذكرون البلدان الأخرى:

فلان (فارسي إيراني)، وفلان (أندلسي) أو (مصري) أو (شامي) أو (حجازي) أو (يماني)!!!

لهذا جهدنا لتجاوز ذلك التردد غير العلمي السائد عند الباحثين والمؤرخين

العراقيين (وفي العالم) بخصوص استخدام اسم (العراق) وصفة (عراقي) على جميع مراحل تاريخه. فالغريب أن باحثينا يطلقون هذه التسمية فقط على المرحلة المعاصرة! ويعتمدون التشتت بإطلاق تسميات أقوامية أو دينية أو مناطقية (آشوري، يهودي، بابلي، عربي) دون أية إشارة إلى عراقية الموضوع أو الشخصية. نحن بكل بساطة احتذينا بالأسلوب المتبع في غالبية بلدان العالم، وقمنا، حسب سياق الموضوع باستخدام تسميتي: (العراق). وفي المرحلة القديمة نستخدم أيضاً: (النهرين، والنهريني)[16]

وسبق لنا ان اقترحنا أن يتم تبني الطريقة المصرية: بالعربي (مصر)، وفي الاجنبي (إيجبت ـ Egypt). كذلك: (العراق) بالعربي، وفي الاجنبي (ميزوبوتاميا ـ Mesopotamia)[17].

مراحل تاريخ العراق

لكي يتمكن القارئ من أن يأخذ نظرة أولية عن تاريخ الانسان العراقي، هذه قائمة تذكيرية بالمراحل الموضحة في الفصول القادمة:

1 ـ مرحلة ما قبل الحضارة: ظهور انسان نياندرتال قبل حوالي 100 الف عام (في شمال العراق)، ثم الانسان العاقل قبل حوالي 50 الف عام في جميع أنحاء العراق. حتى ظهور معالم الكتابة والحضارة حوالي 3000 ق. م

2 ـ مرحلة الحضارة النهرينية (السومرية ـ الأكدية)، وتبدأ حوالي 3000 ق. م في جنوب العراق، مع ظهور اولى النقوش الرمزية التعبيرية ثم المسمارية على ألواح الطين.

3 ـ المرحلة الآرامية المسيحية: بدأت في القرن الثامن ق.م، مع انتشار لغة شبه جديدة هي (الآرامية) في العراق والشام. وترسخت أكثر عندما أصبحت لغة المسيحية منذ عهد السيد المسيح والكتب المقدسة واتخذت تسمية دينية: (السريانية). وانتهت سيطرتها مع الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع م.

---

(16) ـ نذكر بالنسبة لتسمية (نهرين ونهريني) بأننا ومن باب التبسيط واستخدامه كـ (اسم علم ثابت) دون ضرورة لاعرابه، نقترح استخدامه دائماً بصيغة (المثنى المنصوب) فلا نقول: نهران ونهراني، بل دائماً: نهرين ونهريني.

(17) ـ لهذا فإن مجلتنا التي صدرت في بغداد (2004 ـ 2014) حملت اسم (ميزوبوتاميا ـ بلاد النهرين)

4 ـ مرحلة الحضارة العربية الإسلامية (منذ القرن السابع م حتى عام 1258 واجتياح المغول): الراشدية، الاموية، العباسية

5 ـ المرحلة الآسيوية (1258 ـ 1917): (المغولية ـ التركمانية ـ الايرانية ـ العثمانية)

6 ـ المرحلة الحديثة: الملكية (1921ـ 1958) والجمهورية (1958 ـ 2003)

7ـ المرحلة ما بعد الحديثة (2003) منذ الاحتلال الامريكي؟

الإنجازات والميزات الحضارية الكبرى

نصب(الملك آشور بانيبال) في جامعة سان فرانسسكو، باعتباره اول مؤسس للمكتبات. هو يحمل (الكتاب) رمز الثقافة، و(النمر) رمز القوة

نعم العراق موطن العنف والخراب، لكنه خصوصاً موطن الحضارة والجمال!

صحيح أن تاريخ العراق فيه الكثير من العنف والخراب، بسبب سهوله الخصبة ونهريه الوفيرين وموقعه الجغرافي وإحاطته ببلدان جبلية وصحراوية، مما جعله عرضة دائمة للاجتياحات والاحتلالات وعمليات التخريب بالإضافة إلى غدر النهرين والفيضانات المدمرة. لكن هذه العوامل أيضاً جعلته موطناً لأولى وأغنى الحضارات الإنسانية حيث الخصب الروحي، والإبداع الجمالي والعلمي. وهو أكثر بلدان الأرض في احتوائه على عواصم ومدن حضارية خالدة، قدّمت للبشرية أعظم الإنجازات: أور وبابل ونينوى والمدائن والكوفة والبصرة وبغداد..

ـ إن العراق مع الشام ومصر، أولى بلدان المعمورة التي نشأت فيها أولى معالم التمدن والحضارة[18] قبل اثني عشر ألف سنة حيث بدأوا بتشييد السدود وأنظمة الري

(18) ـ إن (إنسان نياندرتال) قد تواجد في العصر الحجري القديم في عدد من الكهوف الجبلية في شمالي العراق قرب نهر الزاب، قبل حوالي 60 ألف عام. تلاه آثار (الإنسان العاقل) قبل 10 آلاف سنة. وإلى هذه الحقبة تعود =

والمدن. ومن أشهر أعجوبات العراق المعمارية: الزقورات والجنائن المعلقة وبرج بابل [19].

ـ هو، حسب التوراة، موطن البشرية وفيه جنة عدن، بعد خراب (برج بابل) تفرعت الشعوب و(تبلبلت) اللغات. وفي (أور) ولد ونشأ النبي إبراهيم أبو اليهود والسريان والعرب.

ـ اخترعت فيه قبل خمسة آلاف عام الكتابة (المسمارية) التي هي أول كتابة في تاريخ البشرية، وسبقت الكتابة المصرية (الهيروغليفية) ببضعة قرون.

ـ فيه اكتشفت وسائل حساب الزمن وأسست الرياضيات المعاصرة، وفيما بعد درس (فيثاغورس) اليوناني في بابل ومصر، وأنشأ نظريته وفلسفته الحسابية الرمزية.

ـ فيه نشأت أولى الشرائع المكتوبة والتي تحمي الضعيف والأرملة واليتيم والعبد، وبلغت الذروة في (شريعة حمورابي).

ـ فيه كتبت أولى وأعظم ما عرفه العالم من شعر وتاريخ وملاحم، وتعتبر (ملحمة كلكامش) من أولى وأرقى هذه الملاحم الدينية والإنسانية.

ـ فيه أسس علم الفلك، وإن ما يسمى بـ (علم الأبراج) هو بالحقيقة دين العراقيين القائم على تقديس الكواكب وأبراجها الاثني عشر. ومن أرض النهرين أتى الملوك (الأمراء) الثلاثة الذين تابعوا النجمة التي هدتهم إلى بيت لحم، حيث ولد السيد المسيح.

ـ في بابل كتب اليهود توراتهم وتلمودهم، قبل الميلاد ببضعة قرون، ومن تراث

= أقدم القرى مثل: كريم شهر (في منطقة السليمانية)، ملفعات (على نهر الخازر)، كردي جاي (على نهر الزاب الأعلى)، نمريك (إلى الشمال من الموصل).

(19) ـ لدينا دراسة قيد الإعداد حول هذه الأطروحة الجديدة: (الحضارة الشرقية المشتركة: العراق ومصر وسوريا)، التي شكلت فيما بعد الأساس السكاني والميراثي لانبثاق الحضارة العربية الإسلامية. إن هذه الحضارات الشرقية المشتركة الثلاث، تتشابه في: أنها بلدان متجاورة، حيث تشكل سوريا الرابط الجغرافي بين مصر والعراق. فقد ظهرت وأبدعت في نفس الحقبة التي امتدت من الألف الثالث ق.م. ثم إنها انتهت أيضاً في نفس الحقبة، أي في القرون الأخيرة ق.م. بسبب اجتياحات جيوش القبائل الآرية التي كونت دولاً قوية: إيرانية ثم يونانية، ثم رومانية. إذن يصح اعتبار هذه الحضارات الثلاث مشتركاً حضارياً واحداً، وتستحق التسمية بـ (الحضارة الشرقية) تماماً كما نطلق حالياً تسمية (الحضارة الغربية الواحدة) رغم تعدد بلدانها: أوربا الغربية وأمريكا.

العراق الديني استلهموا دينهم وحكاياتهم. وفيه مراقد غالبية أنبياء اليهود، مثل: يونس ودانيال وعزرا وحنين ويوشع[20].

ـ إنه من أول البلدان (مع الشام ومصر) الذي انتشرت فيه المسيحية، بالاضافة الى الثقافة السريانية (الآرامية) منذ القرن الأول م. وأصبحت مدينة (المدائن ـ جنوب بغداد) مركزاً لكنيسة وطنية وعالمية أنشأت لها فروعاً في الجزيرة العربية وعموم آسيا.

ـ فيه نشأت واحدة من أهم الديانات العالمية: (الديانة المانوية) على يد النبي (ماني البابلي ـ القرن الرابع م)، وأصبحت أيضاً (المدائن) عاصمة للكنيسة المانوية العالمية التي امتدت فروعها إلى الصين جنوباً وبلاد الغال (فرنسا) شمالاً.[21]

ـ فيه نشأت واستمرت حتى الآن الديانة (الصابئية ـ المندائية) وهي من الديانات (السماوية) التي ذكرها القرآن الكريم.

ـ إنه يكاد أن يكون البلد الوحيد في العالم (مع مصر) الذي احتوى هذا الكم من العواصم الإمبراطورية والحضارية العالمية: أكد وبابل ونينوى، ثم سلوقيا والمدائن، ثم بغداد وسامراء.

ـ في العراق أصبحت (بغداد) وابتداءاً من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر عاصمة أكبر إمبراطورية عالمية (الدولة العباسية)، وموطناً لأزهى حضارة عربية إسلامية وإنسانية، وفيها ازدهت (حضارة بابل) من جديد. أُنشِئَت فيها أولى الجامعات وبرز علماء ومبدعون كبار في الطب والرياضيات والفلسفة والفقه والنثر والشعر. بحيث يصح القول إن أكثر من نصف مبدعي الحضارة العربية ـ الإسلامية وأعلامها، هم من العراقيين أو من الذين نشأوا وتعلموا وأبدعوا في العراق: بغداد والكوفة والبصرة.

ـ فيه تطور الدين الإسلامي واتخذ أبعاده الإبداعية والتطبيقية، حيث نشأت غالبية

(20) ـ هنالك شبه اتفاق بين علماء تاريخ التوراة على أنها دونت في بابل اثناء السبي. طالع مثلا كتاب:
ـ بابل والتوراة ـ الاب سهيل قاشا.
كذلك رسميا لدى اليهود كتابا تلمود: (الفلسطيني)، و(البابلي) الذي هو الاكبر.

(21) ـ عن المانوية، سنوضحها في الفصل الثاني، ويمكن أيضاً مطالعة دراستنا المفصلة المنشورة:
المانوية البابلية.. أساس التصوف العراقي / سليم مطر

المذاهب الفقهية وتيارات التصوف في الإسلام، مثل: التشيع الجعفري والمذهب الحنفي والحنبلي والمعتزلة وإخوان الصفا والإسماعيلية والإباضية والعلوية والقادرية والرفاعية.. وغيرها الكثير.

ـ في بغداد تم إبداع أجمل وأغنى ملحمة قصصية خالدة، ألا وهي (حكايات ألف ليلة وليلة) التي جمعت فيها خلاصة التراث الحكائي لشعوب الحضارة العربية الاسلامية، من الهند ومروراً بإيران ثم مصر حتى بلدان المغرب.[22]

ـ فيه الكثير من العتبات الدينية الإسلامية المهمة جداً؛ سنية وشيعية: مدينة (النجف) المقدسة (المجاورة لبابل القديمة) وهي العاصمة الدينية لجميع شيعة العالم، بالإضافة إلى غالبية العتبات والمراقد الدينية الشيعية مثل كربلاء وسامراء والكاظمية. كذلك فيه مراقد الكثير من أئمة التصوف والمذاهب السنية، مثل الإمام الأعظم (أبي حنيفة) والإمام (ابن حنبل) والشيخ (عبد القادر الكيلاني) و(الشيخ الرفاعي) و(الشيخ السهروردي).

ـ هو من البلدان القليلة التي تحتوي على هذا التنوع في الطوائف الدينية المتميزة والخاصة، مثل الكاكائية واليزيدية.

ـ بسبب هذا الموقع المركزي والاستقبالي، أصبح العراق من البلدان القليلة في العالم التي تحتوي على هذا التنوع القومي: (عرب وأكراد وتركمان وسريان..)، والديني (مسلمون مع مسيح وصابئة ويزيدية)، والمذهبي (سنة وشيعة).

نعم يصح القول ودون أية مبالغة: إن تاريخ العراق ومنجزاته الحضارية والسياسية تعادل بل تتجاوز في كميتها ونوعيتها عدة بلدان حضارية كبرى مجتمعة.

---

(22) ـ أفضل كتاب صدر عن (عراقية الف ليلة):
ـ ألف ليلة وليلة.. كتاب عراقي أصيل / سامي مهدي
ويدرس فيه الباحث بشكل واسع ودقيق تاريخ هذه الحكاية ليستخلص: إنه ليس كما شاع عنه في الأوساط الثقافية، العربية منها والأجنبية، أنه مترجم عن أصل فارسي يدعى «هزار أفسانة» أو «هزار أفسان»، ومعناها «ألف خرافة»، بل هو نتاج بيئة عربية إسلامية عباسية، بل عراقية الاصل تنتمي إلى أواخر القرن الثالث الهجري.

1

هوية العراق، الجغرافية والجينية

ان مفهوم:(الشرق الاوسط) بمعناه الواسع، يشمل: العالم العربي وتركيا وايران وافغانستان والقوقاز، لكن معناه المحدد يشمل فقط البلدان المؤشرة

طيلة التاريخ وحتى الآن، ظل (العراق - النهرين)، يعاني من الاضطراب الثقافي والسياسي ، للموائمة بين الجناح الجبلي:(الايراني - الاناضولي) الذي لا يكف عن اجتياحه واحتلاله، والجناح السهولي:(الشامي - المصري - الجزيري) الذي يشاركه بالهوية الثقافية واللغوية.

الهوية الجغرافية: البيئة والموقع

إن اختلاف الأدوار الحضارية بين أوطان العالم، مرتبط باختلاف الظروف الجغرافية والطبيعية التي تميز كلاً منها. ان (معرفة) تاريخ أي بلد أو إقليم، لا يتم دون معرفة (جغرافيته الداخلية: البيئة) و (جغرافيته الخارجية: الموقع)[23].

فالغالبية الساحقة من بلدان المعمورة، وخصوصاً البلدان القديمة العريقة، مثل بلادنا العراق، قد رسمت حدودها طبيعة البيئة والتضاريس الجغرافية التي تتكون منها[24]. ليس بالصدفة قد أطلق عليه (بلاد النهرين: MESOPOTAMIA)، لأن وجوده ككيان تشكل منذ الأزل حول النهرين الخالدين: (دجلة والفرات)[25].

ومثل كل بلدان العالم، لا يمكن فصل (البيئة الداخلية) عن (المحيط الاقليمي). بالنسبة للعراق هنالك نوعان من الثنائيات، في داخله وفي محيطه: من الداخل هنالك ثنائية: (نهري دجلة والفرات).. ومن المحيط الاقليمي، هنالك ثنائية: من الشرق والشمال (الهضاب الجبلية الايرانية والاناضولية)، ومن الغرب والجنوب (بادية الشام والجزيرة العربية).

إن هذه الثنائية التناقضية الحادة[26]، بين خصب وسهلية أرضه وقسوة الهضاب والجبال والبوادي المحيطة، هي التي دفعت سكانه وفرضت عليهم الكفاح والإبداع من أجل السيطرة على النهرين وتنظيم الري، وبناء السدود للسيطرة على الفيضانات

(23) ـ ابحث عن: الجغرافية التاريخية: Historical Geography

(24) ـ مثال مهم عن التأثير الحاسم للبيئة في صنع تاريخ الشعوب، هنالك التساؤل المعروف:
لماذا لم تظهر الدول والحضارات في قارة افريقيا السوداء (جنوب الصحراء)؟
يبدوا أن السبب يكمن في البيئة والجغرافية، مثل ضيق مساحة افريقيا مقارنة بـ (قارتي آسيا واوربا الملتحمتين)، وأيضاً عدم وجود حيوانات قابلة للتدجين السهل، إذ فيها الفيل والكركدن والزرافات والحمير الوحشية، وقد فشلوا بتدجينها والاستفادة منها في الغذاء والتنقل. والاخطر من هذا، وجود (ذبابة التسي تسي الأستوائية القاتلة) التي أفشلت وأبادت جميع محاولات تدجين الابقار والماشية والخيول في افريقيا.
تفاصيل هذا الموضوع في كتاب:
أسلحة جراثيم وفولاذ/ جارد ديمون: Jared Diamond: ص 564 ـ 567

(25) ـ نفس المصدر السابق: عن دور بيئة المنطقة في ظهور اولى الحضارات البشرية، يقول الباحث ((إن مزايا كثيرة في الهلال الخصيب كالطقس والبيئة والنباتات البرية والحيوانات هي التي تعطينا التفسير المقنع على تفوق المنطقة)):ص207

(26) ـ نحن ضد تلك النظرية العنصرية التي أشاعها الباحث العراقي (علي الوردي) عن (ازدواجية البداوة والحضارة في المجتمع العراقي)، وقد أصدرنا دراسة مفصلة عنها. ابحث عن: علي الوردي وعنصريته ضد المجتمع العراقي / سليم مطر

الموسمية، والاستعداد لفترات الجفاف والملوحة والقحط، بالإضافة إلى مواجهة الجماعات الجبلية والصحراوية الطامعة. ومن هذا الواقع الطبيعي الجغرافي تكوَّنَ العراق والعراقيون ونشأ معهم تاريخهم وإرثهم الحضاري منذ فجر التاريخ حتى الآن.

الموقع الاقليمي وثنائية عالمي الجبال والبوادي

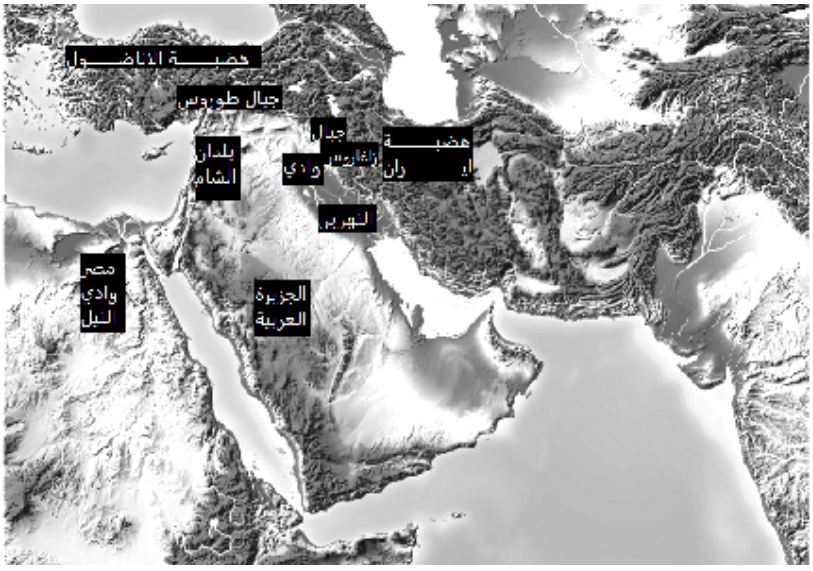

إن (بلاد النهرين) تقع في وسط الشرق الاوسط، أخطر منطقة في العالم سابقاً وحالياً، لأنها تربط آسيا وافريقيا واوربا. وهي موطن الحضارات والاديان، وحولها كانت ولا زالت تتمحور غالبية الصراعات الدولية.

لتبيان أهمية الموقع، لنتخيل لو كان العراق يقع في جنوب آسيا أو في أوربا، يقيناً كان قد اختلف شعبه وتاريخه تماماً. أو لو كان العراق ـ مثل إيران وتركيا ـ يتكون من هضبة عالية تحميها السلاسل الجبلية، لاختلف شعبه وتاريخه تماماً. لو قارنّا الحال مع (مصر) مثلاً، فإنها فعلاً تقع في (قلب العالم العربي) وتحيطها من كل ناحية البلدان العربية. بينما العراق، فهو يكاد أن يكون البلد العربي الوحيد المحاط بغالبية حدوده ببلدين غير عربيين (تركيا وإيران)، بل إن نصف حدود العراق هي مع إيران وحدها:

يبلغ الطول الكلي للحدود العراقية: 3631 كم، حوالي نصفها مع إيران 1458 كم، ثم مع الأردن 181 كم، ومع الكويت 242 كم، ومع السعودية 814 كم، ومع سوريا 605 كم، ومع تركيا 331 كم، ويبلغ الطول الكلي للسواحل البحرية 58 كم.

وينقسم المحيط الاقليمي للعراق الى جناحين:

1 ـ الجناح الشرقي والشمالي: هضبة إيران وهضبة الاناضول (تركيا). وهو جناح إشكالي جداً، لأن بيئة هذين البلدين الجبلية الهضبية، مختلفة تماماً عن بيئة العراق النهرية السهلية، مما خلق، طيلة التاريخ، اختلافاً جوهرياً بين طبيعة الشعب العراقي وشعبي هذين البلدين، مع تناقض كبير بين مصلحة العراق الحيوية ومصالح هذين البلدين. فليس صدفة أن العراق، رغم تنوع أصول شعبه، ورغم احتلاله لحوالي الفي عام متقطعة (قبل وبعد الاسلام: منذ الاخمينيين حتى العثمانيين) من قبل هذين البلدين، إلاّ أنه مع ذلك ظل دائماً بثقافة ولغة: (سامية: أكدية، ثم آرامية، ثم عربية)، بينما (إيران وتركيا) ظلتا عموماً بثقافة ولغات من أصول مختلفة تماماً: (آرية ـ أناضولية ـ تركية)!

هنا تكمن مشكلة موقع العراق: إن إيران وتركيا تعتبران أكبر قوتين سياسيتين سكانيتين وعسكريتين ودينيتين واقتصاديتين في المنطقة، ومتصارعتين طيلة التاريخ![27] بالإضافة إلى أنهما جغرافياً وطبيعياً كل منهما هضبة مرتفعة محمية بجبال جبارة، مما منحهما طيلة التاريخ الامتياز العسكري للهبوط إلى سهول النهرين و (سوريا)، المنخفضة وغير المحمية طبيعياً.

2 ـ الجناح الغربي الجنوبي: بلاد الشام ومصر، والجزيرة العربية. وهو جناح ـ بيئياً وثقافياً وسكانياً ـ مشابه كثيراً لما هو عليه العراق وشعبه: بيئة شبه سهلية وشبه صحراوية، بثقافة ولغة سامية ـ حامية ـ عربية[28]. أما من الناحية السياسية فالامر لا يخلو من بعض التعقيد: طيلة التاريخ ثمة منافسة بين العراق ومصر للنفوذ على الشام (سوريا الطبيعية)، منذ سرجون الاكدي والفراعنة. مشكلة الشام انه لم يستطع أبداً أن يخلق دولة قوية موحدة بسبب انقساماته الجغرافية الداخلية. الاستثناء الوحيد هي

---

(27) ـ من يعاين تاريخ العلاقات بين ايران والاناضول (تركيا) يلاحظ كيف أن العلاقات تحتمها الجغرافيا مهما تغيرت الاديان والاقوام. فالصراع بين البلدين استمر بهذه الثنائية الايرانية ـ الاناضولية: ميديون واخمينيون ـ ليديا / ساسان ـ بيزنط / صفويون وقاجاريون ترك ـ عثمانيون ترك... وحتى الآن..

(28) ـ للتذكير فإن علماء اللغات قد اتفقوا على اعتبار (أسرة اللغات السامية، ومنها العربية) و(أسرة اللغات الحامية: الفرعونية والبربرية. الأمازيغية)، ضمن عائلة لغوية مشتركة أكبر: (اللغات السامية ـ الحامية: Langues Chamitw – Semitiqes). وحسب المؤرخ السوري (فراس السواح)، فإن علماء اللغات يرجحون أن (الحامية) هي أصل (السامية).

(الدولة الاموية، أقل من قرن). حتى في العصر الحديث بقيت مصر حريصة على منع أي تقارب عراقي مع أي من بلدان الشام. فمثلاً، إن قرار (عبد الناصر) بإقامة الوحدة مع سوريا، ما هو إلاّ ردّ على قيام (الاتحاد الهاشمي) بين العراق والاردن[29].

العراق من بلدان البحر المتوسط!

صحيح أن هنالك البادية الغربية التي تفصل العراق عن الشام والبحر المتوسط، ولكن هناك التواصل المباشر مع الشام والمتوسط عن طريق أعالي النهرين دجلة والفرات. لهذا اعتبر الجغرافيون (وادي النهرين وسوريا الطبيعة: الشام) منطقة جغرافية واحدة تحت اسم: (الهلال الخصيب)، وان(مناخ شمال العراق): بحر متوسطي.

البيئة الداخلية وثنائية دجلة والفرات

العراق مثل جميع بلدان المعمورة، تعرض لمتغيرات كثيرة في حدوده وامتدادته. ففي حقب عديدة توسع نحو الشمال الغربي، ليشمل عموم بلدان الشام حيث البحر المتوسط، ثم جنوباً نحو سواحل الخليج العربي. بل شمل قديماً حتى بعض المناطق

(29) ـ السبب لأن مصر طيلة تاريخها عانت أساساً من الغزو القادم من جهة الشام: هكسوس وحيثيون وآشوريون وفرس ويونان ومسلمون وعثمانيون. منذ اوائل الدولة العباسية، استقل المصريون عن سلطة (بغداد): الدولة الطولونية التي كانت اول انشقاق عن الدولة العباسية. الطريف ان مؤسسها هو(احمد بن طولون: عراقي مواليد سامراء، من أب تركي من بخارى). وقد ضم الشام الى مصر. فيما بعد ظهر عراقي آخر هو (صلاح الدين الايوبي التكريتي) الذي أسس الدولة الايوبية في مصر والشام. استمر هذا الاستقلال المصري مع الشام حتى العصر الحديث ودولة محمد علي باشا.

الحدودية مع السعودية، مثل (التيماء) التي كانت العاصمة الدينية لآخر ملوك بابل (نبونيد)[30].

وها هو بعد نهاية الدولة العثمانية والاحتلال الانكليزي وتقسيمات (معاهدة سايكس بيكو) أصبح بحدوده الحالية[31].

الملاحظة المهمة: أنه ظل دائماً موحداً سياسياً ودينياً ولغوياً، حتى في فترات السيطرة الأجنبية. وهذا التوحد لم يكن نتيجة إرادةٍ ما مِن قبل الناس، بل هي خصوصاً إرادة الطبيعة. لقد ظل العراق موحداً حضارياً رغم كل الهجرات السلمية والحربية للأقوام القادمة من كل أنحاء الأرض التي استوطنته، لأن طبيعة دجلة والفرات حتمت الانصهار بين الناس وتوحدهم الأقوامي والروحي والثقافي. ثم إن ضرورات التحكم بالري في النهرين من أجل سقي المزروعات وتجنب الفيضانات، حتمت إدارة موحدة، أي وجود دولة واحدة تقوده وتشرف على نظام ريه وإدارة نهريه.

على الأساس التنوعي في الجغرافيا الخارجية والموضع الداخلي، فإن البيئة (الأقوامية ـ الثقافية) العراقية قد انقسمت إلى نوعين متميزين حسب الاختلاف (الجغرافي ـ البيئي)، أي (ثنائية دجلة والفرات) و (ثنائية الجبال والبادية):

1. بيئة دجلة الجبلية الآسيوية الكردية. السامية

وتشتمل على كل المحافظات الواقعة مباشرة على نهر دجلة (نينوى وصلاح الدين وبغداد وواسط وميسان)، كذلك المحافظات الواقعة شرق دجلة (دهوك وأربيل والسليمانية وكركوك وديالى).

وتتميز هذه البيئة جغرافياً وطبيعياً وسكانياً بالخصوصيات التالية:

ـ من الناحية الجغرافية الخارجية فإنها منفتحة على أكبر الهضاب الجبلية في المنطقة: من الشرق حيث (جبال زاغاروس) التي طالما انحدرت من جانبها المطل

(30) ـ ابحث (تاريخ التيماء زمن نبونيد). كذلك:
ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي/ جزء 2 ص205
ـ دراسه منشورة: هل بنى البابليون مكة والمدينة؟!/ د. هديب ابو غزالة

(31) ـ إن معاهدة (سايكس بيكو 1916) بين بريطانيا وفرنسا، لم تكن حسبما أشاعه العروبيون من اجل (تقسيم الوطن العربي)، بل من اجل (تقاسم الهلال الخصيب: العراق والشام).

على (النهرين) الجماعات الجبلية (اسلاف الاكراد ثم الاكراد). ثم تليها الهضبة الإيرانية الممتدة حتى هضاب أفغانستان وآسيا الوسطى. وتصب من هذه الجبال انهر عديدة مثل: (الزاب الصغير وديالى)، ثم في الجنوب حيث تتكاثر الأهوار الكبرى، تصب انهر (الكارون والكرخة) عبر الاحواز في شط العرب.

أما من الشمال فإن (دجلة والفرات والزاب الكبير) تنبع من جبال (طوروس) المرتبطة بـ(هضبة الاناضول: الحيثية، ثم البيزنطية، ثم التركية). وهي مرتبطة ايضا بجبال القفقاس: (ارمينيا وجورجيا والشيشان).

ـ من ناحية الطبيعة الداخلية فإنها (بيئة دجلة) متنوعة التضاريس، حيث تكثر الجبال والمرتفعات في شمالها وشرقها. وتكمن اهمية (جبال زاغاروس) بأنها تستمر بمحاذاة حوض (دجلة) على طول امتداده من (الموصل) حتى مصبه في (شط العرب).

ـ أما من الناحية السكانية، فإن الخصوصية الكبرى الملحوظة، ان هذا التجاور بين (جبال زاغاروس) و (حوض دجلة) قد حتّم عبر التاريخ وحتى الآن، تواصل التبادل السكاني والهجرات بين سكان هذه الجبال (الاكراد واسلافهم) مع سكان ضفاف دجلة الناطقين عموما بالسامية (الاكدية، ثم الآرامية، ثم العربية). بالاضافة الى ذات التأثير من ناحية (طوروس والاناضول والقفقاس). كل هذا ادى، خصوصا في شمال دجلة (عموم منطقة نينوى: اربيل وكركوك ودهوك والسليمانية) الى التنوع السكاني الكبير جداً من النواحي اللغوية والدينية والمذهبية، بل يمكن القول: إن غالبية الفئات العراقية المختلفة لغوياً ودينياً تعيش في هذه المنطقة: (عرب، أكراد، تركمان، سريان «كلدان وآشوريون»، يزيدية، شبك، فيلية، صابئة، أرمن.. إلخ). بينما (الفرات) فيجلب الانتباه بأن جميع سكانه ـ بما فيه القسم السوري ـ هم حالياً (عرب مسلمون) مع اقلية من (الصابئة)!

رغم هذا التنوع والتمازج السكاني الكبير في هذه المنطقة الا انها بقيت دائما متوافقة سكانيا وسياسيا وثقافيا مع (منطقة الفرات) لانهما معا تشكلان جغرافيا: (وادي النهرين)، حيث تشتركان بالوحدة السياسية والثقافية وسيطرة لغة واحدة طيلة التاريخ: الأكدية، ثم الآرامية ثم العربية. لكن هذا الانسجام الأقوامي اللغوي، لا ينفي حقيقة

أن الأصول السكانية لحوض دجلة، بمن فيهم سكان الأهوار، متأثرة كثيراً بالعناصر الكردية والآرية والتركستانية والقفقاسية..

إن أهم ميزة ثقافية ـ لغوية لهذه البيئة هي (التنوع) حتى في داخل المجموعة الثقافية والمدينة الواحدة. فلو أخذنا الأكراد مثلاً، فهنالك اللغات السورانية والبهدنانية والخانقينية. إن محافظة (كركوك) تعتبر أيضاً أفضل نموذج لهذا التنوع الكبير في (بيئة شمال شرق دجلة)، حيث التعايش التركماني ـ الكردي ـ العربي ـ السرياني ـ الآرمني. كذلك العاصمة (بغداد) فإن تنوعها الكبير لا يعود فقط لأنها عاصمة الوطن، بل أيضاً لأنها تقع على دجلة.

من الناحية التاريخية الحضارية فإن (نينوى) تعتبر مركزاً حضارياً عراقياً بخصوصية (دجلوية)، حيث شكلت مركزاً جامعاً لكل التنوعات الأقوامية والثقافية لبيئة شمال دجلة، مع سيادة الثقافة السامية (الأكدية بلهجتها الآشورية). خلال آلاف الأعوام ظلت (نينوى) الآشورية، في حالة تنافس سياسي وتكامل حضاري مع (بابل) التي مثلت الحضارة العراقية بخصوصيتها (الفراتية). وفي المرحلة الآرامية المسيحية ظهرت (المدائن)[32] على (دجلة) كعاصمة ادارية ودينية لعموم العراق. ثم في المرحلة العربية الاسلامية ظهرت على دجلة (بغداد) عاصمة الدولة والحضارة.

2. بيئة الفرات البوادية[33] السامية ـ العربية

وتشتمل على المحافظات الواقعة على نهر الفرات أو قربهُ: (الأنبار، كربلاء، النجف، بابل، القادسية، المثنى، ذي قار). وهي بيئة مختلفة تماماً عن بيئة دجلة، من حيث طبيعة الموقع والموضع، وبالتالي من حيث التكوين السكاني واللغوي.

من ناحية الموضع، فإن بيئة الفرات شبه صحراوية وسهلية منفتحة. ومن ناحية الموقع، فإنها متصلة من الجنوب الغربي ببادية الشام الممتدة جنوباً إلى بوادي

(32) ـ (المدائن) حالياً جنوب بغداد، هي التسمية الآرامية والعربية لهذه المدينة التي أسسها الاغريق السلوقيون باسم (سلوقيا) ثم أطلق عليها الفرس بعد توسيعها نحو الضفة المقابلة لدجلة، تسمية (قيطسفون). وكانت عاصمة جميع الدول التي حكمت، وكذلك مركز الكنيسة المسيحية النهرينية.

(33) ـ لم نستخدم كلمة (الصحراوية) من (صحراء)، بل اضطررنا الى اصطناع كلمة (بوادية) من (بادية) لان (الصحراء) عادة قاحلة تماماً من النبات والحيوان، وتختلف كثيرا عن (البادية) التي هي عادة شبه صحراوية وفيها نباتات وحيوانات.

الجزيرة العربية، أما من الشمال الغربي فإنها تتصل في نواحي سوريا حتى ضفاف البحر المتوسط.

لهذا فإن بيئة الفرات ظلت دائماً من الناحية الأقوامية والثقافية، بيئة (سامية بحر متوسطية)، تسودها دائماً وحدة لغوية سامية (أكدية ثم آرامية ثم عربية)، مع تأثير واضح بالقبائل الرعوية وكذلك ثقافة الشام والبحر المتوسط والجزيرة العربية.

من الناحية التاريخية الحضارية فإن (بابل) تعتبر مركزاً حضارياً عراقياً بخصوصية (فراتية)، حيث شكلت مركزاً جامعاً لكل التنوعات الأقوامية والثقافية لبيئة الفرات، حيث سادت الثقافة السامية (الأكدية بلهجتها البابلية). خلال آلاف الأعوام ظلت (بابل) في حالة تنافس سياسي وتكامل حضاري مع (نينوى) التي مثلت الحضارة العراقية بخصوصيتها (الدجلوية). وفي المرحلة الآرامية المسيحية حَلَّت (الحيرة) محل بابل، على الفرات، كمركز سياسي وديني. ثم في المرحلة العربية الاسلامية حَلَّت (الكوفة) وهي محاذية لـ (الحيرة) كمركز سياسي وحضاري، بعد ان اتخذها (الخليفة علي بن ابي طالب) أول عاصمة للخلافة بعد (المدينة المنورة).

الثقافة (النهرينية) المشتركة

إن الثقافة العراقية منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا، هي ملتقى هاتين البيئتين المختلفتين المتكاملتين، أقوامياً ولغوياً. إن هذه (الثنائية) هي نوع من (القدر) الجغرافي التاريخي الذي يميز العراق منذ الأزل:

ـ بيئة دجلة الآسيوية الجبلية وشبه الجبلية.

ـ بيئة الفرات السهلية البوادية البحر متوسطية.

هنالك ثلاث مدن رئيسية جمعت بين هاتين البيئتين المتميزتين المتكاملتين: نينوى وبغداد والبصرة.

إن (بغداد) تعتبر أفضل مثال على هذه الثقافة النهرينية الجامعة لبيئتي دجلة والفرات، رغم أن بغداد تقع على نهر دجلة، إلاّ أنها تتميز بناحيتين:

ـ أنها تقع في أقرب نقطة يقترب فيها النهران، وهذا ما جعلها فعلاً ملتقى لهاتين البيئتين.

ـ أنها تقع في وسط بلاد النهرين، بين الشمال والجنوب.

إن العبقرية العراقية (العباسية) هي التي اختارت (بغداد) في هذا الموقع الوسطي الجامع بين الشمال والجنوب، ودجلة والفرات، من أجل تجنب الخطأ الكبير الذي وقع فيه أسلافهم، عندما ظلوا مشتتين بين مركزين متنافسين (نينوى) و (بابل).

إن بغداد منذ تأسيسها حتى الآن، ظلت تعبِّر بصورة مكثفة عن التكوين الأقوامي والثقافي لبيئة دجلة، حيث يمتزج فيها العربي مع الكردي مع التركماني مع السرياني مع الأرمني مع الصابئي، كذلك هي ملتقى جميع الأديان والمذاهب العراقية.

رغم أن ثقافات عالم ما بين النهرين دجلة والفرات متنوعة وشاملة للبيئتين، إلاّ أنها ظلت عموماً (سامية ـ عربية) لكونها أرضاً سهلية (تسَّهل) عملية التمازج وتفرض على الجماعات الجبلية فقد قواها الثقافية وتمتزج بالثقافة السهلية (السامية ـ العربية).

أما (البصرة) فإن لها خصوصيتها العراقية الشمولية، من النواحي السكانية والثقافية. فهي جامعة للنهرين في نهر عظيم ثالث هو شط العرب، ثم إن البصرة ـ من دون المدن ـ جمعت في موقعها بين مختلف المؤثرات الجغرافية المحيطة: بيئة البادية الممتدة ناحية الغرب حيث الشام، والجنوب حيث الجزيرة العربية. أما من الشرق فبيئة إيران وجبال زاغاروس القريبة ناحية الأحواز. يضاف إلى هذا جغرافية جديدة خاصة بالبصرة، ألا وهو الخليج العربي الممتد حتى المحيط الهندي وجنوب آسيا. ومن هذا الخليج ارتبطت البصرة بالسواحل العربية والسواحل الإيرانية والهندية، بل حتى مع السواحل الأفريقية.

كل هذا التنوع الجغرافي البيئي جعل البصرة مركزاً حضارياً وسكانياً كبيراً ومتميزاً، له خصوصيته الجامعة الشمولية التي تجتمع فيها المؤثرات السامية ـ العربية، والإيرانية والهندية والأفريقية.

تطرف النهرين بكرمهما وغدرهما

إن التطرف بالمحاسن والمساوئ هي الميزة الكبرى التي طبعت تاريخ العراق وحضارته وعقليته، ناتجة عن تطرف جغرافيا العراق ومناخه وموقعه بالمحاسن والمساوئ.

وقد عانى العراق من أهم مشكلتين: غدر الطوفانات / وجفاف الانهر وتغيير مجاريها.

ـ بالنسبة للطوفانات، فبسبب انخفاض سرعة جريان المياه في السهل الرسوبي،

كانت عملية ترسب تلك المواد تحدث كذلك في مجاري الأنهار نفسها، فيرتفع بسبب ذلك مستوى قاع تلك الأنهار وتظهر في مجاريها جزر رملية سرعان ما تنمو فيها الحشائش والأدغال مما يساعد على تماسك تربتها.

ولفيضانات دجلة والفرات طبيعة خاصة تتميز بالعنف وعدم الانتظام، ثم إن أوقاتها غير ملائمة لمواسم الدورة الزراعية في العراق. ففي فصل الربيع ترتفع مناسيب المياه في دجلة والفرات بصورة مفاجئة[34]. ولكن مياه هذه الفيضانات تأتي متأخرة بالنسبة إلى الزراعة الشتوية، ثم إن فترة تلك الفيضانات تكون عادة قصيرة إذ تهبط مناسيب المياه بسرعة وقبل بداية أشهر الصيف؛ ولذا تشح المياه قبل نضوج المحاصيل الصيفية مما يتسبب في هلاك نسبة كبيرة منها.

إن من أهم آثار فيضانات دجلة والفرات المدمرة هو أن طغيان المياه في مجرى النهر غالباً ما تخرب الشواطئ وتندفع إلى المناطق المنخفضة من السهل الرسوبي وتغمر مساحات شاسعة منها، فتتكون الأهوار والبطائح وأكثرها مسطحات مائية غير عميقة. وإن البحوث العلمية تشير إلى أن بعض هذه الأهوار كانت موجودة منذ نهاية العصور الجليدية، ولابد أن مساحات تلك الأهوار كانت تتسع أو تتقلص حسب حجم الفيضانات التي تتحكم فيها الظروف المناخية السائدة. وإن الرأي السائد في الوقت الحاضر عند غالبية الباحثين هو أن قسماً من تلك الأهوار غمرته مياه الخليج بعد ارتفاع مستوى سطح المياه في المحيطات والبحار المتصلة بها جراء ذوبان الثلوج في نهاية العصور الجليدية.

ـ أما مشكلة تحول مجاري أنهار العراق، فإنها كانت من أقوى العوامل التي ساهمت في اندثار الحضارات القديمة في وادي النهرين وتحول مراكز الاستيطان والمدن من مكان

(34) ـ ليست صدفة أن أقدم ذكر لـ(حكاية الطوفان) ورد في النصوص النهرينية. فهنالك (قصة الطوفان السومرية) التي تتحدث عن ملك يسمى (زيوسودا) في مدينة (نيبور ـ نفر) أخبر بقرار مجمع الآلهة بالطوفان المصحوب بالعواصف والأمطار التي استمرت سبعة أيام وسبع ليال. وان (زيوسودا) هو الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة.
كذلك ذكرت (قصة الطوفان) في (ملحمة جلجامش): عن رجل يسمى (أوتنابيشتيم) أمرته الآلهة بأن يبني سفينة، ويحمل على ظهرها بذور كل شيء حي، ثم استوت السفينة على جبل (نيصير- نيزير) بين دجلة والزاب الأسفل.
كذلك ذكرها المؤرخ البابلي اليوناني (بيروسوس): عن ملك بابلي اسمه «أكسيسو ثووس» يحذره الإله من طوفان يغمر الأرض ويهلك الحرث والنسل ويأمره بأن يبني سفينة يأوي إليها. ويجمع فيها كل أقربائه وأصحابه، ويختزن فيها زاداً من اللحم والشراب فضلاً عن الكائنات الحية من الطيور وذات الأربع.
ثم بعدها ذكرت قصة الطوفان في التوراة والقرآن.

إلى آخر. وقد ظلت محصورة في منطقة السهل الرسوبي (منطقة بابل التاريخية)، حيث قامت حضارات سومر وبابل. وإن وجود آثار المدن القديمة بعيداً عن مجاري الأنهار الحالية ما هو إلاّ دليل على تلك التحولات في مجاري الأنهار منذ فجر الحضارات. وهذا دليل آخر على أهمية الزراعة الحوضية، إذ يبدوا أن تلك المدن كانت مراكز التسويق وإدارة الزراعة ضمن حوض نهر معين. ومن أهم المدن التي اندثرت وتشاهد آثارها بعيدة عن مجاري الأنهار هي (نفر وأوروك، الوركاء ولارسة وأور وأريدو). وكذلك مدن (بابل وسبار وكيش وكوثى). ولنفس الأسباب اندثرت مدينة واسط التي بناها الحجاج على مجرى نهر دجلة القديم.

التقسيمات الإدارية

الولايات العراقية الثلاث في العهد العثماني، وموحدة تحت إدارة والي بغداد.

إن العراق منذ الأزل كان موحداً جغرافياً وطبيعيّاً حول دجلة والفرات، وكانت مساحته الطبيعية أكبر من مساحته الحالية، إذ تشمل الكثير من المناطق المحاذية التابعة حالياً للدول المجاورة، منها مثلاً منطقة المحمرة التابعة لإيران بالإضافة إلى امتداده جنوباً في أعماق الخليج العربي. وعلى أساس هذا التوحد الجغرافي ـ الطبيعي حول دجلة والفرات، توحد العراقيون سياسياً وثقافياً وسكانياً. فرغم أن العراق ظل دائماً يستقبل الجماعات من كل أنحاء البلدان المحيطة به، القادمة سلماً وحرباً، فإنه سرعان ما كان يوحدهم ويجمعهم ويصهرهم في روح دجلة والفرات.

ظل العراق منذ انبثاق الحضارة بدولة واحدة رغم المنافسة بين السلالات

(السومرية ثم البابلية ثم الآشورية)، كذلك ظل موحداً لغوياً (اللغة السومرية، ثم الأكدية بلهجاتها البابلية والآشورية). كذلك ظل موحداً روحياً ودينياً حول ديانة (تقديس الكواكب) وثلاثية (آيل الإله الأكبر رب السماء) و(عشتار آلهة الأرض والأنوثة والأمومة)، و(تموز) ابنهما ووسيط خصبهما.

بعدها اعتنق العراقيون الديانة المسيحية وحلت اللغة الآرامية ـ السريانية مكان الأكدية، ثم العربية والاسلام. وبقي العراق موحداً سياسياً حتى في ظل الدول الأجنبية المحتلة. ولكن مثل غالبية البلدان هنالك تمايز اداري سياسي بين الجنوب والشمال كما بيّنا سابقاً، اتخذ مسميات مختلفة، منها: (آشور وبابل)، وعند العرب (الجزيرة وأرض السواد)، وفي زمن العثمانيين: (ولايات الموصل وبغداد والبصرة) تحت ادارة مركزية من قبل والي بغداد.

اما (عيلام ـ الاحواز) فكانت عموما مرتبطة واقعيا واداريا بـ(النهرين: العراق)، إما مع ادارة الجنوب (البصرة) او متميزة اداريا او كإمارة شبه مستقلة. وبسبب موقعها السهلي البحري المجاور لجبال فارس، كانت اول ما يتعرض للاحتلال الايراني لتكون مدخلا لاحتلال باقي النهرين.

التقسيمات الإدارية بعد الإسلام

إذن طبيعة العراق كوادٍ نهري محاط بالسلاسل الجبلية والهضاب، حتَّمَتْ وحدته الجغرافية، ثم إن طبيعة الري في النهرين ومن أجل السيطرة على الفيضانات وتجنب خطر الجفاف والملوحة، حتَّمَتْ إدارة موحدة للنهرين، أي دولة موحدة قادرة على التحكُّم بالري.

بعد الفتح الإسلامي للعراق أبقى العرب على التقسيمات الإدارية القديمة، فقد كان العراق وبلاد الجزيرة أيام الحكم العباسي مقسماً إلى كور، والكور إلى طساسيج؛ وهو ما يقابل الناحية في الوقت الحاضر، وكان لكل كورة قصبة (مركز) ومدائن، ولكل مدينة قرى مرتبطة بها إدارياً.

بقيت ديار الجزيرة والعراق بعد اجتياح هولاكو في اضطراب واختلال. ثم في سنة 1534 م تمكن السلطان العثماني سليمان القانوني من التغلب على الصفويين واحتلال العراق. فقسم

العراق الى 17 سنجقاً (محافظة) وقطعت منها ستة سناجق لقواده. أصبح العراق كله (إيالة ـ ولاية) عاصمتها (بغداد) تتبعها الموصل والبصرة، ويحكمها وال يعينه السلطان.

في أوائل القرن الثامن عشر انفصلت إدارياً ولاية (الموصل) عن (بغداد) وخضعت إدارياً لولاية (ديار بكر)، كذلك انفصلت إدارياً (شهر زور: السليمانية وكركوك) ثم أعيدتا إلى (ولاية بغداد) بعد زمن. أما في زمن الوالي العثماني (مدحت باشا) فقد انقسمت ولاية العراق التي كانت تتألف من مقاطعات بغداد والبصرة والموصل، إلى متصرفيات (سناجق)، والمتصرفيات إلى أقضية، والأقضية إلى نواحٍ. وفي سنة 1879م أصبحت (الموصل) مركز ولاية يتبع لها (مركز الموصل وكركوك والسليمانية). وفي سنة 1880م قسمت (ولاية بغداد) إلى سبعة سناجق وهي: بغداد ـ الحلة ـ كربلاء ـ العمارة ـ المنتفق ـ البصرة ـ نجد. وفي سنة 1884م تم تحويل (البصرة) إلى ولاية، ثم تكونت من أربعة سناجق وهي: البصرة ـ العمارة ـ المنتفق (الناصرية) ـ نجد. أما التقسيمات الإدارية قبل الحرب العالمية الأولى، فقد قسم العراق إلى ثلاث ولايات تابعة إلى العاصمة (بغداد)، وهي:

ـ ولاية بغداد وتتبعها متصرفية بغداد ـ الديوانية ـ كربلاء.

ـ ولاية الموصل وتتبعها الموصل ـ شهرزور ـ السليمانية.

ـ ولاية البصرة وتتبعها البصرة ـ العمارة ـ المنتفق.

أقاليم وادي النهرين (ميزوبوتاميا: MESOPOTAMIA)

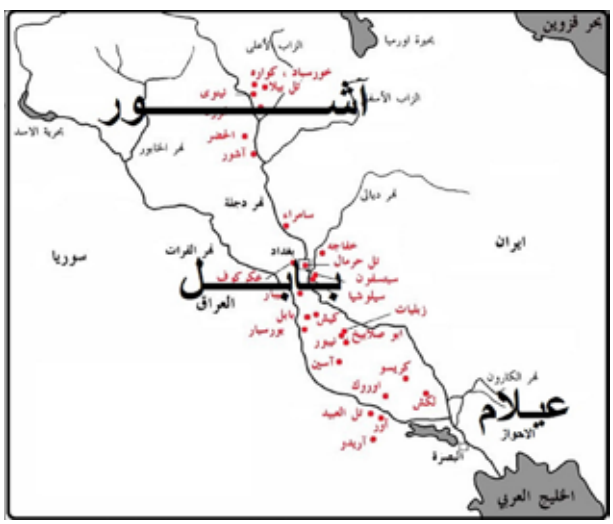

من المعلوم ان (العراق الحالي) يشكل جغرافياً وسياسياً الجزء الاعظم من (وادي النهرين)، وهنالك (مناطق هي جزء طبيعي وحضاري وسكاني من وداي النهرين) لكنها تتبع حالياً البلدان المجاورة، مثل أعالي النهرين: منطقة الجزيرة السورية، وجنوب تركيا (نصيبين ـ ماردين، وديار بكر، وعرفه ـ الرها)، بالاضافة الى (الاحواز) المحتلة من ايران، وامارة الكويت[35].

طبيعياً، وعبر التاريخ، انقسم (وادي النهرين) الى ثلاثة أقاليم، موحدة حضارياً وسكانياً، لكنها مختلفة جغرافياً وإدارياً:

1 ـ اقليم السهل الرسوبي (بابل: السواد) (من سامراء وتكريت والانبار حتى البصرة والخليج العربي)، وقد عرف قديماً: (أرض بابل)، في العصر العربي الاسلامي: (أرض السواد). وهو سهل منبسط بين وحول النهرين وبمستوى سطح البحر ويعتمد أساساً على ري النهرين.

2 ـ اقليم الشمال أعالي دجلة (آشور ـ الجزيرة)، من شمال تكريت ثم كركوك والسليمانية واربيل ونينوى، صعوداً الى الحسكة السورية، ثم نصيبين وديار بكر في جنوب تركيا. وقديماً اطلق عليها: (بلاد آشور)، وفي العصر العربي الاسلامي: (أرض الجزيرة). وتتميز بأنها منطقة مرتفعة بمتوسط 300 م عن سطح البحر وتحدها من الشرق جبال زاغاروس ومن الشمال جبال طوروس، ومن الغرب البادية الغربية. وهنالك ثلاثة أنهر تنحدر من زاخاروس تصب في دجلة: (الزابين الادنى والاعلى ونهر الخابور). وتعتمد على الزراعة البعلية (الامطار) بالاضافة الى الري النهري.

3 ـ اقليم عيلام (الاحواز)، ورغم أنها امتداد طبيعي للسهل الجنوبي، إلاّ أنها تتميز بتأثير المناطق الجبلية التي تحيطها من الشرق ومن الشمال، وتعرضها المستمر لاجتياحات قبائل ايران الجبلية المجاورة. ويصب فيها من ايران نهرا الكارون والكرخة، وتتواصل مع محافظة ميسان وأهوارها، وتنفصل عن البصرة بشط العرب.

هذه الاقاليم الثلاثة، مع تمايزها الجغرافي والحدودي، إلاّ أنها تشكل بمجموعها

(35) ـ عن (مناطق وادي النهرين الطبيعية)، نؤكد بأننا لا نقصد أي معنى سياسي وطني، بل فقط المعنى الجغرافي الطبيعي المتداول عبر التاريخ.

منطقة جغرافية واحدة: وادي خصيب يصب فيها نهرا دجلة والفرات، ومنفصل عن: هضبة ايران، بجبال زاخاروس. وعن الاناضول، بجبال طوروس. وعن الجزيرة العربية وجزء من الشام، بالبادية الغربية. وهذا يفسر سبب توحدها:

ـ الحضاري (اللغوي والديني). والسياسي، مع صراعات داخلية للسيطرة على دولة النهرين: (بابليون ـ آشوريون ـ عيلاميون)..

علماً بأن وادي النهرين، له تواصل طبيعي مع محيطه فقط من الشمال الغربي، مع بلاد الشام (سوريا)، عبر أعالي دجلة والفرات (الجزيرة) التي يمتد سهلها ودربها التجاري حتى (حلب)، فيتشكل من (بلاد النهرين والشام) ما اطلق عليه بـ: (الهلال الخصيب). وبسبب هذا التواصل الطبيعي حصل هذا التشابه السكاني والحضاري الدائم بين العراق والشام، مع الاختلاف الاداري السياسي (الدولة)، حيث بقيت (بلاد الشام) دائماً يتنازعها سياسياً النفوذ العراقي والنفوذ المصري.

***

الهوية الجينية للعراقيين

الحقيقة المهمة التي يتوجب التذكير بها دائماً:

في أنحاء العالم، ليس هنالك عرق أو قومية أو شعب، أو حتى قبيلة كبيرة، من أصل وجدٍّ مشترك، إلاّ في حالات استثنائية جداً، في المناطق المعزولة النائية، مثل الواحات والجزر والجبال العصية. إن أية جماعة مهما كانت فإنها مضطرة للاختلاط والتزاوج بالجماعات الأخرى، لأسباب حياتية وسياسية ومصالحية، ومضطرة أيضاً للهجرات والغزو، وكذلك تحسين النسل.

إن وحدة أية جماعة، مثل القبيلة والعِرق والقومية والشعب، لا تقوم على الانتماء البدني ـ النسلي المشترك، بل على الانتماء الحياتي المشترك: التاريخي والثقافي (الديني واللغوي) والمصالحي.

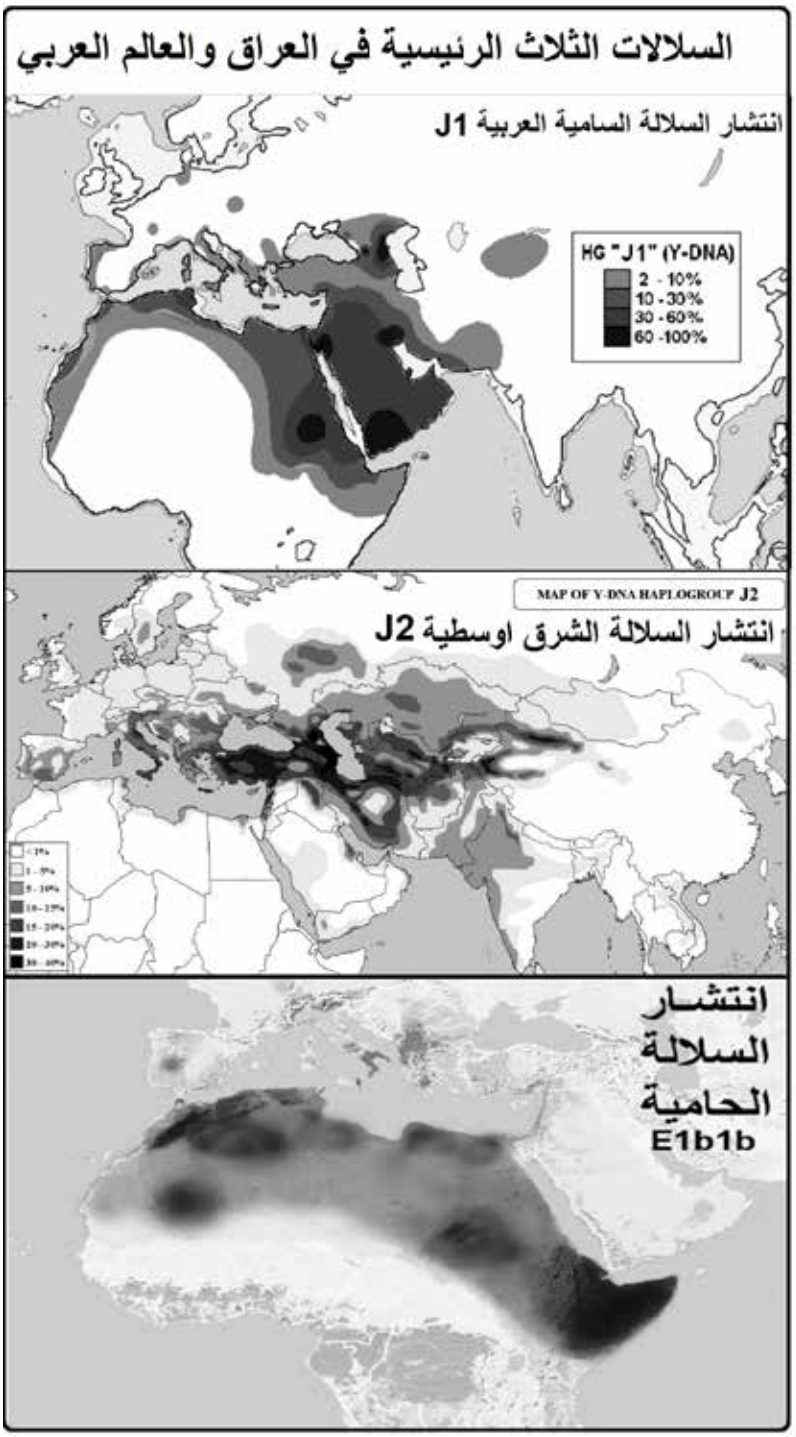
السلالات الثلاث الرئيسية في العراق والعالم العربي
انتشار السلالة السامية العربية J1
HG "J1" (Y-DNA)
2 - 10%
10 - 30%
30 - 60%
60 -100%
MAP OF Y-DNA HAPLOGROUP J2
انتشار السلالة الشرق اوسطية J2
انتشار السلالة الحامية E1b1b

ويُعَدُّ العراق واحداً من أكثر بلدان العالم الذي اختلطت فيه الجماعات القادمة طيلة تاريخه من كل حدب وصوب، بسبب موقعه المركزي والخصيب في وسط الشرق الأوسط الذي هو موطن البشرية والحضارات.

أصول العراقيين، حسب المكتشفات الجينية[36]

إن تاريخ الوجود البشري قديم جداً ويعود إلى حقب بعيدة مجهولة (ما زال العلماء في خلاف وجدل حول زمان ومكان أوائل البشر)[37]، فقد تم الاتفاق على أن تحدد السلالات البشرية قبل حوالي 50 ألف عام، أي في نهايات العصر الجليدي الأخير الذي دام أكثر من 100 ألف عام، وقضى على الكثير من السلالات البشرية القديمة، ومع تنامي الدفء وذوبان الجليد بدأت الجماعات البشرية تتحرك وتنشط وتكوّن سلالات جديدة.

تمكنت المختبرات الخاصة، وبعد سنوات من الفحوصات الجينية لعشرات الآلاف من الأشخاص من جميع شعوب وقوميات وقارات الأرض ذكوراً وإناثاً، من تحديد السلالات الكبرى التي تنتمي إليها البشرية: 20 سلالة أبوية، وأكثر من 20 سلالة أمومية. ثم تم تقسيم هذه السلالات الأولى إلى سلالات فرعية تنتسب لـ (جد) أقرب زمناً، أي بحدود 10 آلاف عام، وهكذا دواليك أمكن تقسيمها إلى فروع أصغر، كل سلالة منها تنتسب إلى جد قبل قرون، حتى القبيلة ثم العشيرة ثم العائلة. أطلق على هذه السلالات الكبرى الأبوية والأمومية، تسميات من حروف: A, H , K...[38].

(36) ـ من يرغب بمطالعة تفاصيل موضوع الجينات المعقد جداً، فهو مفصل في دراستنا المنشورة على موقعنا الشخصي، مع صور وجداول توضيحية. ابحث عن عنوان:
سليم مطر: مكتشفات جينات الشعوب، ونهاية أوهام النقاء القومي العرقي!

(37) ـ حول تاريخ ومكان تكون الإنسان، فإن الاكتشافات الجينية والآثارية في السنين الأخيرة، أزاحت نظرية (الإنسان العاقل منحدر من أفريقيا قبل 100 ألف عام)، بل تم العثور على جماجم أقدم في المغرب وفي أواسط آسيا وأوربا وأماكن أخرى خارج أفريقيا. ووفقًا للباحثين: يجب رفض فكرة (مهد الأصل البشري المحلي) تلك؛ وذلك لصالح التفسير الذي يرتبط بالتعدّدية الإقليمية (multiregionalism)، وحتى الآن يمكن افتراض أنه موجود قبل 300 ألف عام.
طالع موضوع: أصل الإنسان ليس من أفريقيا
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1116000/1116056.stm

(38) ـ عن ماهية (المجموعة المتفردةHaplogroups):) والكثير من المعلومات التي تخص جينات شعوب العالم، طالع أفضل موقع عالمي بهذا الخصوص (Eupedia):
= https://www.eupedia.com/europe/origins_haplogroups_europe.shtml

وكل واحدة من هذه السلالات ـ وخلال هذه الآلاف الطويلة من الأعوام ـ تفرعت إلى سلالات مختلفة. وهذه بعض السلالات الأبوية الكبرى[39]:

ـ السلالة الأصلية (iJ) تكونت قبل 50 ألف عام في الشرق الأوسط (بين شمال العراق وسوريا وإيران والأناضول والقفقاس). ثم انقسمت إلى (سلالتين) مختلفتين كل منها كونت سلالة عالمية خاصة:

ـ السلالة (i) التي تكونت في البلقان قبل حوالي 25 ألف عام، وشكلت أول وأقدم سكان أوربا، وتنتشر في أنحاء القارة، وخصوصاً بين شعوب البلقان والإسكندناف أكثر من 40%. وأما في الشرق الأوسط فتوجد بين شعوب إيران 24%، وبين أكراد العراق 16%، وأكراد تركيا 25%. وبنسب صغيرة جداً أو معدومة بين اليهود والشعوب العربية، وكذلك التركية.

ـ السلالة (J) التي بقيت في الشرق الأوسط، انقسمت قبل حوالي 20 ألف عام إلى سلالتين متداخلتين (J1) و (J2):

ـ السلالة (J2): بقيت في المنطقة حيث ينتشر أبناؤها خصوصاً في الشرق الأوسط والقفقاس وآسيا والبحر المتوسط، وبين الشعوب الناطقة بالسامية والعربية بنسبة أقل أو أكثر من 25%، بين العراقيين والأحوازيين واللبنانيين واليهود والإيرانيين والأكراد الجورجيين، وفي تركمانستان وأوزبكستان وباكستان واليونان وألبانيا وأسبانيا. أما في عموم أوروبا وأفغانستان والهند فبنسب لا تزيد على 7.3%.

ـ السلالة (J1): تكونت عند سفوح جبال زاغاروس وطوروس (شمال بلاد النهرين: العراق وسوريا)، وانتشر أبناؤها خصوصاً في المناطق التي أصبحت تتكلم باللغات السامية بالتداخل مع (السلالة J2) و(السلالة الحامية: E). وتسجل (J1) أعلى نسبها بين سكان جنوب العراق 80%، وعموم عرب العراق 64%، وسريان العراق 28%، وأكراد

= كذلك ابحث في الإنترنت بمختلف اللغات:
ـ هابلوغروب أمومي: DNA(mt) Haplogroupe
ـ هابلوغروب أبوي Y Haplogroupe ـ DNA

(39) ـ لتسهيل البحث عن كل سلالة أبوية أو أمومية، يكفي وضع إحدى العبارات فوق مع إضافة اسم السلالة، مثلا:(J) أو (R).. إلخ.

العراق 11%، واليمن 70%، والأحواز 35%، وفلسطين 38%، وسوريا 33%، والجزائر 35%، وتونس 30%، والأردن 48%، وبدو النقب 62%، والسودان حوالي 50%.

ـ السلالة الحامية (E) وبالذات فرعها (E1b1b1) التي تكثر بين شعوب (بلدان المغرب ومصر)، ثم في باقي العالم العربي، وخصوصاً في بلدان الشام: قد امتزجت منذ القدم بالسلالة السامية (J1)، إذ تتقاسم الانتشار بين الشعوب الناطقة بالسامية ـ العربية وكذلك اليهود. وقد تكونت في أفريقيا قبل حوالي 30 ألف عام، ثم قبل حوالي 18 ألف عام انتشرت فروعها المختلفة في مصر والسودان وأثيوبيا والصومال وبلدان المغرب، وبلغت منطقة الشام ثم العراق والجزيرة العربية، واختلطت مع السلالة (J) لتكون أساس الشعوب الناطقة باللغات السامية. وبتأثير الفينيقيين والمصريين والبربر واليهود والعرب انتشرت هذه السلالة في أنحاء الشرق الأوسط والبلقان وعموم البحر المتوسط؛ إنها السلالة الغالبة في مصر وبلدان المغرب وخصوصاً بين الأمازيغ (البربر والطوارق). أما في المشرق فإن أعلى نسبها كانت في بلدان الشام إذ تتراوح بين 20% إلى 30%، وخصوصاً في الأردن وبين بدو النقب والبحر الميت. وبين 10% إلى 15% بين عرب الجزيرة العربية، والعراق. وبين عموم الأكراد حوالي 12%، وتركمان العراق 17%.

ـ السلالة (الآرية ـ الهندوأوربية) (R)، تكونت قبل حوالي 30 ألف عام، في شمال البحر الأسود وجنوب روسيا، ثم انتشرت في أنحاء أوروبا والشرق الأوسط ثم استقرت في الهند. وتُعَدُّ السلالة الأولى في أوربا وتشكل حوالي نصف جيناتهم. ومنها انبثقت قبل حوالي خمسة آلاف عام القبائل الناطقة باللغات (الآرية) التي بفضل اكتشافها استخدامَ الجياد تمكنت من الانتشار وفرض هيمنتها ولغتها التي شكلت أساس لغات غالبية شعوب الهند وأوربا. إذا أضفنا هذه الجينة (R) إلى الجينة الخاصة بالأوربيين (i) لتشكلا (الجينات الآرية ـ الأوربية)، فإنها توجد في الشرق الأوسط بنسب مهمة: عند الإيرانين والأتراك والأكراد حوالي 35%، عند العراقيين بمن فيهم العرب 17%، وشعوب الشام حوالي 20%، السعودية 7%، الإمارات 12%. بل حتى بين (بدو النقب الأردنية) 16%! أما في مصر وبلدان المغرب، فهي أقل من 9% أو معدومة!

جينات العراقيين

ان هذين الجدولين خلاصة لنتائج العديد من الفحوصات العالمية[40].

وهذا يدعم الفرضية الواقعية القائلة بأن سكان (بلاد النهرين) الأوائل هم من نفس سلالة ساكني سفوح (جبال زاغاروس، المطلة على النهرين) أجداد الأكراد (مثل الغوت والكاشيين الذين كانوا يهبطون إلى النهرين سلماً وغزواً، ويحكمون ويمتزجون بسهولة مع أبناء عمومتهم أهل النهرين). أي هم من السلالة (J) التي منها انحدرت (J1) للسومريين والعيلاميين، وغالبية الناطقين بالسامية. ثم فيما بعد أتت (الهجرات الآرية) من (جنوب روسيا) التي (كردت) لغة وثقافة (سكان الجبال الأصليين) وميزتهم عن أهل النهرين. تقريباً كما فعل (التعريب) مع باقي (أهل النهرين) بعد الفتح العربي الإسلامي:

(40) ـ بالنسبة لجينات مكونات الشعب العراقي، كحال الكشوفات التي تخص مختلف الجماعات، تختلف أرقام النسب قليلا بين كشف وآخر، بسبب اختلاف مكان وأشخاص الكشف. ولكن عموماً يتم أخذ أرقام النسب التي تعتمد على أكبر عدد من الأشخاص المكشوفين.
بالنسبة لنوعية جينات العراقيين يمكن مراجعة المواضيع المنشورة التالية:
ـ موقع PMC:
_ A glimpse at the intricate mosaic of ethnicities from Mesopotamia: Paternal lineages of the Northern Iraqi Arabs, Kurds, Syriacs, Turkmens and Yazidis
نفس المصدر أعلاه مترجم إلى العربية في موقع: جينات قبائل الجزائر (tribus algeriennes):
جينات سكان شمال العراق: جينات ((العرب + الأكراد + التركمان + السريان + اليزيديين))
- DNA lineages of the Northern Iraqi Arabs, Kurds, Syriacs, Turkmens and Yazidis
ـ صفحة ويكيبيديا بالإنجليزية الخاصة بجميع سلالات الشرق الأوسط، المعنونة بـ:
Y _ DNA haplogroups in populations of the Near East
ـ حول جينات السلالات الأبوية للأكراد، طالع:
Table 1 _ available via license: Creative Commons Attribution 4.0 International
https://www.researchgate.net/figure/46_tbl1_265947486
ـ في هذا الفحص الثاني العالمي أيضاً، تتضاعف نسبة (E) إلى 15% وتنخفض نسبة (i) إلى أقل من النصف. طالع:
Table 4: Distribution of the in silico assigned Y _ chromosomal haplogroups by the Whit Athey algorithm for the 17 _ loci Y _ STR datasets from Northern
https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5669434/table/pone.0187408.t004/?report=objectonly
ـ حول جينات السلالات الأمومية للأكراد:
Table 2 _ uploaded by Fatah Zarei
https://www.researchgate.net/figure/MtDNA _ haplogroup _ frequencies _ in _ the _ Kurdish _ groups_tbl2_295667105
ـ حول الجينات الأمومية لجميع شعوب العالم، طالع القائمة الكاملة في موقع (Eupedia) العالمي بالإنجليزية، وبلغات أوربية أخرى:
https://www.eupedia.com/europe/european_mtdna_haplogroups_frequency.shtml

السلالات الابوية الاساسية لمختلف مكونات الشعب العراقي

نوع الجينة السلالية	الجينة J الشرق اوسطية والسامية العربية	الجينة E الحامية: المصرية المغاربية ـ الشامية	الجينة R الأرية ـ الهنداوربية	الجينة I الاوربية	جينات اخرى
عموم العراق	%57	%11	%17		T %9 عربية وشرق افريقية
اكراد العراق	%40	%12	%28	%16	T %6
التركمان	%26	%17	%13		G %10 قلقاسية ـ شرق اوسطية
السريان	%28		%30		T %18
اليزيدية	%22		%21		L %11 هندية شرق اوسطية
الفيلية	%40	%7	%28	%16	T %4 G %4
عرب الجنوب	%85	%7	%4		Q %3
عرب الشمال	%50	%8	%16	%2	T %9

التطابق الكبير بين السلالات الامومية للاكراد مع عموم العراقيين

هذه ابرز السلالات الامومية المشتركة بين الاكراد وعموم العراقيين، التي تمثل 70% من المجموع. اما الـ 30% المتبقيين، فهم ايضا ينحدرون من سلالات امومية مشتركة، ولكنها عديدة وبنسب صغيرة جدا.

السلالة الامومية	H,V	J	U	T	K
أمهات الاكراد	%26	%14	%15	%8	%5
أمهات عموم العراقيين	%28	%13	%7	%8	%5

***